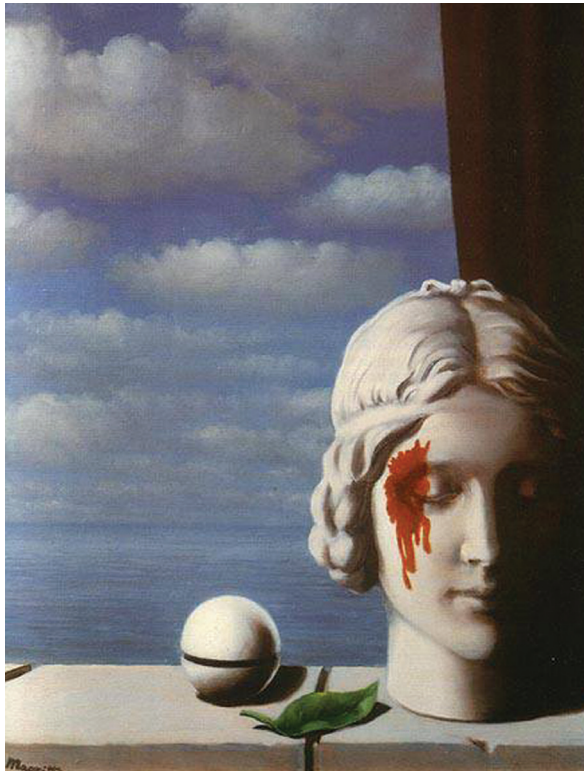


إبراهيم زولي

مخرج للطوارئ

(نصوص مفتوحة)



مخرج للطوارئ

(نصوص مفتوحة)

مخرج للطوارئ

(نصوص مفتوحة)

إبراهيم زولي



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

2016 م - 1437 هـ

ردمك 2-1865-01-614-978

جميع الحقوق محفوظة

هاتف: +96673174000

فاكس: +96673175107

جازان - المملكة العربية السعودية



ش.م.ل
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: bachar@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.asp.com.lb>

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشرين

لوحة الغلاف للفنان البلجيكي رينيه ماغريت 1898 - 1967

تصميم الغلاف: علي القهوجي

التنفيذ وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (+961-1)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (+961-1)

المحتويات

من قلب المدفأة . . فتى يقال له إبراهيم	9
حتى لا تتلعثم الشعلة	39
الوجوه . . ما يكفي لزراعة حقل	59
كان وأخواتها . . مصابيح تتوسط شارع القلب	91
على قيد الحياة . . طفولة طاعنة في السن	117
الذكريات . . سرد عاطفي في نزهة صيد	141
الرقصة الأخيرة للمطر	163

* كُتبت هذه النصوص بين عامي 2006 و 2015 م

لا يموت الإنسان إلا حين لا يتذكره أحد .
برتولد بريخت.

لو أن هذا القلب لم يقيّدني إلى الآخرين
الذين أحب، لعشتُ بكل رغبة معكم .
هولدرلين.

من قلب المدفأة
فتى يقال له إبراهيم..

طقس الكتابة عملية تشبه الضرب في الرمل.

هي، كمن ينظر إلى قدميه عندما يقود دراجة ليتعرف كيف تتم
عملية القيادة

ثم يتعثر في الطريق.

الكتابة موعد مع الغياب، أو هي المكوث بانتظار جودو، قريبة
من البحث عن وليد مسعود.

قد تأتي وقد لا تأتي.

الأوراق، وستة عشر بحراً، وإرث هائل من قصائد النثر، وقلم
دون غطاء، ولوحة مفاتيح شامت حروفها بالنقر المتوالي من
سبابتك اليسرى.

كلهم يتأهبون، لكنها قد لا تجيء.

تغضب، فترمي بكل شيء في أقرب سلة أمامك، لا فرق بين
سلة المهملات، وسلة المحذوفات في الكون الافتراضي.

تختلط البحور؛ الوافر والرمل ممزوجان بالمتدارك.

وتطلّ قصيدة النثر، ذات الكلمات المغسولة بعناية، والنظيفة
كطفل يذهب في يومه الأول للمدرسة. تلك التي بإيمان كبير
تهدم وثنية الإطئاب، ولا تبجل شراسة الإيقاع، معها يفيض
المعنى في جمل قليلة.

ثم ينتصب الخليل بن أحمد أمامك كعفريت، صابًا جام غضبه
عليك، وفي يده عصا القافية، العصا التي ينخس بها ظهور الشعراء
منذ ما يزيد على ألف سنة.

تقوم منكسراً من مكانك الذي هيّأته للقصيدة / الحلم
وفي خلسة من كلّ هؤلاء تقتحمك وأنت أعزل إلا من حزنك،
عارٍ، سوى من البهجة بقدمها.

لا لشيء إلا لأنها هي سيّدة الزمان والمكان، وتلوّح الحطّاب
الآخيرة في طريقه إلى شجر الكلمات، هي شهوة نبيلة ضدّ
المحو، وأولى محاولات الإنسان لمناهضة الطغيان والتسلّط.
القصيدة، تفتح نافذة في العراء، وتصنع أرجوحة لأطفال القرى
البعيدة.

هي من تصطفي إيقاعها، وأوان حضورها

ربما في الظلام،

وحين يغالبك النعاس، أو ذاهباً في صباح شاحب إلى عملك.
هكذا تقبل من أورثتك الجنون.

فجأة، تنبت كعشب فوق حجر، كبرق تهامي، أو كمطر الصيف.

تشبه غيمة خرجت عنوة في يوم مشمس.

* * *

الشاعر، هو من يعيش القصيدة في يومياته، قبل أن تتحوّل إلى لغة مكتوبة على الورق، وبالتالي لن يكون ثمة طقس للقصيدة قبل الكتابة وبعدها،

هذه قسمة جائزة.

إذا ما تجاوزنا مسمّى الطقس، بالرغم من عدم ثباته على مفهوم يقيني وواضح، يظلّ الشعر، الكلمة السحرية التي نلوذ بها، عندما يخذلنا الواقع المعاش. وكلّ إجابة تدّعي معرفة أو حقيقة تظل على التخوم.

القصيدة ليست قطّة أليفة تصطحبها سيّدة نبيلة حيث شاءت، وليست هشة كسطح الماء كما يتوقع غير واحد.

القصيدة تحتاج وقتاً للتأمل، كما يتأمل المحاربون طرائدهم وخصومهم من فوهات بنادقهم.

الانفعال ومحاكاة الواقع لا تليق بالشعر، وقصائد المناسبات العابرة، لا تصمد أمام عوادي الأيام وتقلّباتها السريعة والمتعاقبة.

مع ازدهار ثقافة التصنيف، على الشاعر أن يلوذ بصمته الحكيم، وعزلته المضيئة، بعيداً بعيداً عن الهشيم، والصخب المجّاني.

نصّ واحد مأهول بالشعر، خير وأبقى من دواوين مسكونة
بالصراخ والضجيج.

الكتابة الحقيقية تتكى على علائقها المكيّنة بالذاكرة والتخييل،
في مسعى حثيث لانقلاب أبيض على عالم متشظّ ومفكّك،
هاجسها ديمومة تتعالى على الزمن والظروف المرحلية.

2

جدتي زينب، رحمة الله عليها، كانت تأخذني للجيران، لمشاهدة التلفزيون. آنذاك كان لا يزال دخوله جديدا في قريتنا، وكان يعمل بالبطارية قبل مجيء الكهرباء العمومية العام 1980م

كنت مفتونا بهذا الجهاز، وصوره المموّهة بالألوان، تلك الصور التي تجرني إلى عسل الرغبة في المعرفة، والذهاب خلف جدران المجهول.

برامج مثل «عالم الغد» و«من كلّ بحر قطرة» الذي كان يقدمه سامي عودة، كانت قوتي اليومي وزادي المعرفي، وكذلك بعض المسلسلات مثل «راس غليص» من بطولة هناء ثروت، ويوسف شعبان، وعبد الرحمن آل رشي، و«متعب الشقاوي» بطولة طلحت حمدي وسلوى سعيد. وكان يطل علينا آنذاك الممثلون اللبنانيون من أمثال أنطوان كراج، وهند أبي اللمع، وعبد المجيد مجذوب، ورشيد علامة وغيرهم.

ولا أزال اتذكر من صور الشاشة الفضية، ختام المباراة النهائية في كأس العالم 78م، بين الأرجنتين وهولندا، ومشهد الورق المتطاير عالق في ذاكرتي إلى اليوم.

من البرامج التي لم تبرح المخيَّلة في التلفزيون السعودي ؛
«الكلمة تدقّ ساعة»، الذي كان يقدمه الأستاذ محمد رضا
نصر الله.

في إحدى حلقاته شاهدت الأديب الكبير محمد حسن عواد،
وفي اليوم الثاني كنت أقرأ له في مادة الأدب نصّاً شعرياً
في الصف الثاني المتوسط. حدّثتُ معلمي أنّي شاهدته
ليلة البارحة. كنت مغموراً بالفرحة وأنا أرى صاحب خواطر
مصرحة.

شغفت بالإذاعة كذلك. كان أبي محبّاً لسماع نشرات الأخبار
أواخر السبعينات الميلادية من القرن الفائت، ورثت ذلك الهوس
عنه، فكانت هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» بمذيعيها
الخالدين: جورج مصري وماجد سرحان وأيوب صديق
وهدي الرشيد، وكذلك راديو مونت كارلو، حتى ببرنامجهما
عن المسيحية الذي كان يذاع عقب فترات البث، وإذاعة صوت
أمريكا، التي كانت تعمل بها مذيعة اسمها وسيلة بلدي. هذه
الإذاعات وبرامجها ومذيعيها كانوا هم أصدقائي وندامي في
تلك الأيام

لا أنسى أيضاً صوت العرب وبرامجها التي حرّضتني على عشق
الطرب الأصيل؛ أحببت شادية، وفايزة أحمد، وكارم محمود،
ومحمد قنديل، وقبل ذلك كوكب الشرق. ومن برامجها التي
لم تطلها يد النسيان «تلفون آخر الليل» و«قصاقيص» والفنان
يوسف وهبي الذي كان يردد بصوته الجهوري في أحد البرامج

«وما الدنيا إلا مسرح كبير»، حتى الإذاعة الليبية المسماة، صوت الوطن العربي الكبير صوت اللجان الثورية، كنت أعرج عليها بين الفينة والأخرى، وأظن أن الفنان محمود يس كان يقرأ على مستمعيها فصولاً من الكتاب الأخضر.

في المرحلة الابتدائية لا تزال في ذاكرتي، ساحة المدرسة المطلة على الحقول البعيدة في القرية. أجل، كنت ملتحفاً بالحياء أكثر من اللازم

غير أن مشهد السنابل، كان يدعوك للغناء العذب، ويحركك من مخاوفك.

من الكتب الأولى التي قرأتها؛ رواية «روبنسون كروزو» هذا الكتاب الذي وجدته صدفة في مكتبة المدرسة الابتدائية، دون أن أعرف آنذاك عن قيمته المعرفية، لمؤلفه دانيال ديفو، والعمل يعتبر من أعظم القصص في تاريخ الأدب الأوربي، وهي تشبه «سد هارتا» للروائي هرمان هسه، وقريبة من عمل ابن طفيل «حي بن يقظان» في الأدب العربي.

في المرحلة المتوسطة كنت مدججاً بالأسئلة، والرغبة الجارفة في التحليق بها إلى فضاءات أوسع. هاجس الشعر وكائناته المعلقة في المدى، كانت قد بدأت تستبدّ بي.

أول كتابة نشرتها في حياتي كانت في صحيفة عكاظ مطلع الثمانينات الميلادية من القرن الفائت «الصف الثالث متوسط»

تقريباً، كان عنوانها «خزعبلات، أو التأمل في الذات» وكنت أرى أنها لا تستحق النشر لولا أن الزميل والصديق محمد قاسم الجيزاني قام بإرسالها، ووجدتها منشورة في صفحة يشرف عليها الأستاذ سعيد الصبحي، هكذا أعتقد اسمه إن لم تخني الذاكرة. مذكّك عرفت أن الكتابة متاحة للأثرياء والفقراء، للقرويين، وسكان المدن. ثم توالى ممارسة الغواية.

كثيرون تشربّت من تجاربهم الشعرية؛ في العصر الجاهلي، امرؤ القيس وطرفة، ثم في العصر العباسي، المتنبي وأبو تمام، وأبو العلاء، وأبو نواس، وصولاً إلى أهم شعراء المهجر إيليا أبوماضي، ثم مدرسة أبولو؛ ناجي، وعلي محمود طه، ومن بعدهم، الجواهري والبردوني، وصولاً إلى الشعر الحديث في نماذجه العليا، وديع سعادة، وسليم بركات، وبسام حجار، مرورا بأمل دنقل، وسعدي يوسف، وآخرين.

كائنات القصيدة، كانت تجيء أكثر غموضاً في الثلث الأخير من الليل، ولأنّ الأهلّة تذكّرني بوجوه الغائبين، لذلك حين يأفلون، أقول حزيناً: لا أحبّ الآفلين.

الحرائق ابصرها

- عندما كان في الثانوية -

تنبت في شجر اللوز

ولكنه هادئ

مثلما قرية في الحدود

ولم تتحمل بروق الحنين

سماواته.

في هذه المرحلة كنت أحشد الكثير من الأسئلة الأدبية لمعلم اللغة العربية، والوجودية لمعلم التوحيد، وأخْبئ نجمة عصية في حقيتي.

هذان المعلمان أصبحا فيما بعد من أقرب الناس لي، ولم تزل تربطني بهم علاقة حميمة لليوم.

بدأت أكتب قصائد عمودية وأسلمها لمعلم اللغة العربية في المعهد العلمي الأستاذ محمد عبده شبيلي، والذي كان يقوم بكتابة ملاحظاته عليها. أذكر أن هذا المعلم طلبت منه رباعيات الخيام «ترجمة رامي» فكتب لي أكثر من مئتي بيت بخط يده «قبل زمن النسخ واللصق » وجاءني بها في اليوم التالي. هذا النموذج النادر من المعلمين بدأ يتلاشى من مؤسساتنا التعليمية.

العام 1986م، نشرت في ملحق الندوة الأدبي، الملحق الذي كان يشرف عليه الراحل محمد موسم المفرجي. كان يصدر يوم الأحد، وينشر فيه كبار كتّاب القصيدة العمودية؛ حسين سرحان، محمد حسن فقي، يحيى توفيق حسن، والكاتبة سهيلة زين العابدين حماد، وغيرهم، هذا الملحق الذي كان يصدر يوم الأحد، كان يصدر معه في نفس الموعد، ملحق صحيفة اليوم،

وكنـت أقـتنيـهـما جمـيعـا، رـغم اـختـلاف التـوجـه والرؤـيا.

كنـت أقرأ ملحق الـيوم الـذي قلـت أنه يصـدر في ذات الـيوم، وكان الـكاتب عبد الرؤف غزال، والـكاتب خـالد المـحاميد من ضـمن محرريه.

كذلك كانت هناك صفـحة اسمـها «أقلام» في صحيفـة عكاظ، وأشرف عليها المبدعان عبد المحسن يوسف، وعبد خـال، كانت لغتها مختلفة تتجه صوب التجديد والحدـاثـة. في المرحلة الثانوية نشرت عدة نصوص بها كان منها نصّ عنوانه: «لأشجار آلامي أغني»

شغفت بالعروض آنذاك وإيقاعاته التي كنت أهـذي بها، وكانت بحور الخليل أصدقائي الأثيرين في تلك الفترة، لدرجة أنني كنت أقطّع عروضيا، لا الشعر فحسب، بل حتى أسماء المـحـلات التجارية، وكل حديث بين الأصدقاء.

من الأصدقاء في الفترة الجامعية الشاعر عيد الخميسي، والروائي محمود تراوري، والروائي عواض العصيمي، والشاعر هاشم الجحدلي، والشاعر الشعبي الراحل محمد النفعي، وكان الشاعر محمد الثبتي يسكن في مكة، ونحرص على زيارته يومي الخميس والجمعة، حيث يستمع لنصوصنا بكل محبة وأريحية، وإذا ما راقى له قصيدة، قال «زوينه»

هناك موقف لا أنساه حدث لي وأنا طالب في جامعة أم القرى عام 1988م في مقر لجنة التوعية الإسلامية، عندما شتموا الحداثة، وكفروا أصحابها. لم أؤمن على ما قالوه، وقفتُ، وقلت شيئاً مختلفاً عما يريدون، يومها كلُّ مسدِّ لحيته، ورمقني بنظرة سوء. عقب هذه الحادثة بأسبوع التقيت محمد الثبتي، جرياً على عادتنا الأسبوعية في زيارته أنا وأصدقائي.

قال لي: « وش سويت في الجامعة» لم أعرف إلى الآن كيف وصل إليه الخبر، ثم أردف «قل لهم نعل أبو الحداثة» وخذ شهادتك يا إبراهيم، أهلك ينتظرونك هناك.

كانت فترة توهج لنادي جدة الأدبي آنذاك، ولصحيفة عكاظ

بملحقها الذائع الصيت «أصداء الكلمة»

عرفت في النادي ضمن من عرفت؛ الناقد حسين بافقيه، والشاعر مسفر الغامدي، والشاعر الراحل عبد الله باهيثم، وآخرين. وفي صحيفة عكاظ سعيد السريحي، وعبد خال، وعبد المحسن يوسف، وأحمد عائل فقيه، والراحل محمد الطيب.

مرحلة ألق معرفي كانت. وجدتُ الكتب التي كنت أحلم بها، حيث مكتبة الشاعر محمد الثبيتي عامرة بالكنوز، كان لا يبخل علينا. لا أنسى أنني استعرت منه ديوان «نخلة الله» للشاعر والمترجم العراقي حسب الشيخ جعفر.

كنت أقف قبالة مكتبته كالمخبول. قال لي ذات مرة: ألم تر كتباً من قبل؟ قلت: بلى، ولكن، ليس مثل هذه.

لم تختف من ذاكرتي مشهد الجماهير المهيبة، وصورة استاد الخرطوم في نوفمبر 1987م، خلال تدشين الرئيس السوداني آنذاك الصادق المهدي، مهرجان الشباب العربي السابع، وهو مهرجان درجت جامعة الدول العربية على تنظيمه بصورة دورية كل ثلاثة أعوام.

كان من ضمن الوفد السعودي المشارك الأستاذ زياد الدريس المندوب الدائم للمملكة العربية السعودية لدى منظمة اليونسكو (باريس) والكاتب والملحن الأستاذ عبد الرحمن الحمد، وهو بالمناسبة ملحن أغنية «غدار اعرفك يا بحر» للفنان محروس الهاجري، وكان ضمن الوفد الكاتب المسرحي الدكتور سامي الجمعان، والدكتور الناقد حسن حجاب الحازمي، وآخرون.

قبل ذهابنا للعاصمة المثلثة، التقانا في مدينة الرياض صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب في تلك الفترة. ما أذكره من ذلك اللقاء أن الأمير لم يدعنا نصافحه، بل قام هو بمصافحة الوفد واحدا واحدا، يصل العدد إلى أكثر من خمسين.

كان المشهد السياسي السوداني في تلك المرحلة يمر بجدل وسجال عميقين بين الأحزاب والأطراف الفكرية المتعددة. زرنا أم درمان وسوبا والمركز الإسلامي الإفريقي وشاهدنا في رحلة بحرية ملتقى النيلين الأبيض والأزرق، في منظر لن يُمحى من المخيلة.

التقيت الفنان السوداني الشهير صلاح ابن البادية، وتعرّفت على تاج الدين الفيتوري ابن الشاعر الراحل محمد الفيتوري الذي أهداني أعماله الكاملة، والتقيت الفنانة المصرية ماجدة، حدث ذلك مصادفة أثناء زيارتنا لإجراء مقابلة في التلفزيون السوداني، فوجدناها تجري حواراً، قابلنا كذلك الفنان السوري أيمن زيدان، كان مشاركاً بمسرحية لبلاده، والشاعر الإماراتي كريم معتوق.

مصر لم تكن حاضرة في هذا المهرجان، كانت خارج الجامعة العربية بسبب معاهدة كامب ديفيد، وكان مقر الجامعة في تونس، التي شهدت في تلك الأيام، ونحن في الخرطوم «نوفمبر 1987» انقلاباً أبيض على الحبيب بورقيبة، واعتلاء زين العابدين بن علي سدة الرئاسة، وكانت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية أو اليمن الجنوبي، مشاركة في المهرجان، قبل الوحدة اليمنية في عام 1990م.

الذي رشحني لهذه المشاركة الكاتب والمؤرخ الأستاذ محمد القشعمي الذي كان يرأس القسم الأدبي بالشؤون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض قبل التحاقه بمكتبة الملك فهد الوطنية مسؤولاً عن الشؤون الثقافية فيها، ولم أكن أعرفه

ولا يعرفني قبل ذلك، غير أن العلاقة فيما بعد امتدّت إلى اليوم. حدث ذلك في أبها أثناء مشاركتي في مهرجان الشباب الخليجي الثالث في سبتمبر 1987م، فقال لي: هناك مهرجان عربي في الخرطوم ونودّ منك تمثيل المملكة في الشعر، هل أنت جاهز. قلت له نعم. قال هل لديك جواز سفر؟ قلت له: لا. قال: إذا، عجلّ باستصداره. وكنت دون السن النظامية لاستخراج الجواز، الأمر الذي اضطرّ أبي «رحمة الله عليه» لمرافقتي للجهات المسؤولة، وتوقيعه بالموافقة، وتمّ استصدار جواز «لسفرة واحدة»

الشعر، هذا الفن الذي ظلّ معبراً منذ مئات السنين عن صوت الأمة، وضمائر الناس بكافة أطيافهم ومكوّناتهم.

ذلك الشريان الذي يسري في ذرّات الهواء، من يتقن فن العزف على العذابات والوجع المشتهى.

مافتئت القصيدة، هي الصوت الذي لا يهدأ في قلب العربي، صوت تخفق له حقول الذرة، وعناقيد الكروم.

ليست هي الخيبة الأولى، أو النكسة الأخيرة، أن يعلن بعض مثقفينا عن موت الشعر، ونشوء زمن الرواية. هكذا دون أي منطق نقدي، أو رأي حصيف.

مجّانية المانشيت وغواية الإثارة وحدها هي السيّدة في هكذا مقولات.

تلك القرون الضاربة بصلافة في التاريخ من شعرنا العربي، لا يمكن لها أن تذهب أدراج الرياح.

مدونة السرد في الغرب بدأت قبل الميلاد غير أن أحدا من منظّريهم لم يقل بموت الشعر، فيما نحن، لم تظهر الرواية

في أدبنا العربي كفن متكامل بشروطه إلا قبل قرن ونصف في أكثر الأقوال تفاؤلاً، ومع هذا نسعى محمومين إلى فكرة القتل أو «موت الشعر»

فكرة التعايش، وقبول الآخر التي يدّعيها بعض المفكرين، إذا ضاق بها أفقهم بين الفنون والآداب، فهم في ما سواها أضيق.

يحدث هذا في عالم تسعى فيه الفنون إلى تداخل أجناسها، والإفادة من كلّ الأشكال الإبداعية، سينما ومسرح وشعر ورواية، بغية خلق نصّ مفتوح ومنفتح على كلّ الأنواع.

هذا الضجيج المفتعل، لم يمنح الشعر إلا مزيداً من الشرف والزهو، وتناسل شعراء آخرين من فم العاصفة.

ما يلاحظ؛ أن القصيدة - في زمن الهوس الروائي - ظلت بمنأى عن هذا اللغط، بعيدة كل البعد عن تسوّل القارئ، واستجدائه، تحت مسميات جمّة؛ تارة باسم «فضح المكبوت» وتارة أخرى، تحت عنوان خرق «التابوهات» في المجتمع. كلّ ذلك كان يتمّ - في أغلب حالاته - بمنأى عن الفن، واللغة الأدبية. وما يؤسف له أن المتلقّي خارج حدود الوطن، كان غالباً ما يقرأ ذلك المنجز كمضامين، دون كثير اعتبار لفنيته. ذلك الحراك الملتبس أدّى بعدد غير قليل إلى كتابة الرواية، بعضهم لم يسبق له النشر، ولم تكن له بدايات في أيّ جنس أدبي، لا يدعوهم إلا نداء السوق، أو ما يسمّى «المخرج عاوز كدا» لكن هذا الهوس خفت إلى حد بعيد في الستين الأخيرتين.

«أصدر الروائيون السعوديون منذ العام 2001 م، ولمدة خمس سنوات تالية، ما معدّله تقريباً، نصف ما أنتجوه في تاريخهم الروائي منذ صدور «التوأمان» لعبد القدوس الأنصاري 1930م» عقب ذلك لاحظ المهتمون بالشأن الثقافي تراجع الإصدارات الروائية، ما يعني أن الأمر كان أشبه بحالة عابرة، حالة استجابات لمتطلبات السوق، ولرغبة الناشرين العرب، كأيّ سلعة استهلاكية، وكيفما اتفق، دون اعتبار لقيم الفن العليا، فيما كانت القصيدة تتفرّس في ملامحها، دون أن تساوم على فتنتها وجمالها.

ما فتئت الينابيع، والنساء الجميلات، والمطر الذي يبّل ثيابنا، والرغبات السريّة، تحدّق في الشاعر طويلاً، كي يكتب عنها، ويخلع عليها الأسماء.

تحيّة للشعراء فرداً فرداً، حاملين مصابيح القلق والنور، تحلّق أرواحهم في هودج الريح الفاخر، يحرثون في سماواتنا حدائق الدهشة والبهاء، غير مكترثين بما يُكاد لهم.

تلويحة، لطرفة والمتنبّي ولوركا ورامبو ودرويش والثبيتي، وسلاماً للشعراء والشاعرات الذين يحملون الآن قصائدهم الأولى للمطبعة.

القرى لم تعد قرى، ولم تتحوّل إلى مدن بالمفهوم الواسع للكلمة. هي بين بين، في منطقة رمادية بين الأبيض والأسود، كائن شبحي لا نستدلّ عليه، ولا يستدلّ علينا، قرى تشيح بوجهها عنا كلّ صباح مخافة أن نكشف زيفها وضلالها.

القرية التي تسكنني، قرية من لغة وكلام مصفّى، قرية في خرائط المخيلة، قرية يلوذ بها الشاعر من صخب جهنمي يضجّ في رأسه، قرية تسكن الكتب المستريية، والتضاريس المارقة.

والعزاء لنا «نحن أبناء القرى» في هذا اللحظة التاريخية، كلنا نسكن قرية واحدة في هذا الفضاء الإلكتروني، هذا الفضاء الذي أسقط معادلة المتن والهامش، وهشم نظرية المركز والأطراف.

في نفسي شيء من القرية، من عوالمها السحرية، وفضاءاتها الرحبة. في اعتقادي أنها لم تستثمر بما فيه الكفاية، ولما تزل مثقلة بالدلالات والإيحاءات في كلّ أجناس الكتابة، وليس القصيدة فحسب.

الجنوب، طعنة مضيئة تنبعث كالبرق، طعنة، تفتح عين الشاعر
على مساحات العطش، تلك المساحات التي تعبث بكينونته،
من صرخة الولادة حتى شهقة الكفن، مروراً بالنهارات الفقيرة
وانحناءات البيوت.

لا أريد أن أكون متحاملاً على استئثار الشمال بكثير من الأشياء،
الشمال الذي انفرد حتى بتدوين اللغة منذ البدء، وتضامنت معه
البوصلة في انحياز سافر.

لا يملك الشاعر معنى جاهزا يسعى لإيصاله للمتلقي، ومن ثمّ لم يعد يغويه سؤال المتلقي في الذهنية التقليدية التي تريد منه أن يخرج تلك العصا السحرية ليمنح الآخرين معرفة يجهلونّها من قبل.

الشاعر ليس لاعب سيرك، ولا مفسّر أحلام.

ذلك الإرث الذي نحمله عن الشاعر الحاوي «النبّي» صار محض ذكرى.

ومع كلّ هذا فالقصيدة ليست بمنأى عن عالمها، إنها مشتبكة معه، بكلّ سياقاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. والشاعر يواجه هذا التحديّ مدججاً برؤية تمعن في نظرتها الجسورة للحياة، بعيون حادة، وأصابع لا ترتعش أوان الكتابة.

شَرَّقْتُ وَغَرَّبْتُ كثيراً، غير أن «ضممد»^(*) هي المدينة التي ترهق
 المعنى، المدينة التي تحتفي بآخر عشاقها المبلّل بالغواية.
 هذه الفاتنة تحتاج إلى ساحر يحتويها في قبّعتها، ثم يخرجها
 طائراً من غير سوء.
 مكتوبة في رواق القلب، الذي عبره الأسلاف يوماً إلى العدم،
 وهي تنتظرهم أن يعودوا إلى الدار. ربما غداً، أو بعد غد.

(*) ضممد، مدينة تقع في الجنوب الغربي للسعودية، وإحدى
 محافظات منطقة جازان.

المرأة، كائن أجهله كثيراً، ربما بحكم الجغرافيا، وسلطة القرى ذات الأعراف الرمادية.

لذلك لا أعرف إلا امرأة واحدة، امرأة أرضعتني حليب البلاد، امرأة ذات ثياب خجولة، ثياب مغزولة بزنجيل وبخور تهامي، هي أمي التي غادرته ذات فرح موسمي.

أو امرأة أخرى، امرأة على النقيض تماماً، تجدها في ليل مالح غابت ملامحه، ليل يتمدد كالموت في عيناها،

قد تلتقيها صدفة، قرب رصيف منزوٍ في عاصمة ما.

الطفولة ذاكرة مشاغبة تسترق الكلمات المخبّأة في ذمّة البحر،
ثم ترشقها بالضوء الكريم.

الطفولة كنز كامن بالشعرية، لم نستنفد التعبير عنها حتى هذه
اللحظة، الطفولة ثروة من الألوان الحميمة يتأجّج ألقتها بالكتابة.
هي واحدة من أولئك الذين يستطيعون إضرار النيران في جسد
القصيد، وينفخون روح الحياة فيها تارة أخرى.

الكتابة محفوفة بكثير من الإشكاليات. هي ضرب من التهور والمجازفة، وذهاب للمجهول.

ما ان يرتكب الإنسان العربي فعل الكتابة، ويشرع في تحرير نصّه حتى يكون عرضة لكل ما نتصوّره من إحباطات وانكسارات وهزائم، وتُهم تصيبه في أكثر أشيائه حميميّة، ناهيك عن تصنيفات جاهزة يكيلها الهامشيّون، كالتكفير والزندقة والعمالة والخيانة .. و..

أتحدّث هنا عن المبدع والكاتب الحقيقي، لا كتبة البلاط ومن يمتنون حرق البخور أمام السلاطين.

في جيزان تحوّل الشعر إلى ظاهرة حياتية، تمتدّ إلى جذور بعيدة، أفقيّاً وعمودياً. حالة وجودية، وعلامة فارقة لهذه الجهة من الوطن.

إنها مثار سؤال شائك يتمظهر في أغلب المناسبات.

جازان؛ قرى وضواح، استحقّت عن جدارة، أن تكون منبرا للإبداع، وعاصمة غير متوجّهة للقصيدة. لا نقول ذلك بدافع نرجسي، أو تعصّب بغیض. لكن، القصيدة هي علامة المنطقة الفارقة.

ثمّة، للحصاد أناشيده التي يترنّم بها الفلاحون أوان القطاف. الطفل ساعة ولادته تستقبله نساء الحيّ بالأهازيج..

منذ شهقته الأولى، وسمعه مجبول على الغناء. الشيد رفيقه في كلّ المواسم، ويمتدّ معه كقدر محتوم، إلى ساعة يخطن النساء كفه..

حين يجيء البعيدون من سفرهم الطويل، يكون الشعر زادهم في دروب الوحشة، ومهاجع الوحدة..

تذهب إلى منطقة أخرى، يسألك الأصدقاء: هل أنت من جيزان؟
وما أن تجيب بنعم، حتى يبادرك ثانية: أسمعنا نصّاً شعريّاً، دون
أن يعرف هل أنت شاعر أم لا!

هذه الظاهرة تستدعي الكثير من التأمل والتفكير والمساءلة،
بحاجة إلى مؤسسة ثقافية، أو فريق من الباحثين، وإن لم يكن،
فمفكر فطن في الحقل السييسولوجي، يستقصي جذورها
وأصولها، ويقوم بمسح معرفي للظرف الاجتماعي والاقتصادي
في تلك البيئة موطن الظاهرة، التي بالتأكيد ستضفي نتائجها
مادة غنية لمشهدنا الأدبي، والثقافي بوجه عام.

حتى لا تتلعثم الشعلة..

1

آلة العود المملوءة بالقش لا يمكن أن تُصدر نغما جميلا.
كذلك الإنسان المتختم بالشبع، لن يعرف معنى السمو والتجلي.

2

ما لم نتخلّ عن فكرة الآخر العدو، والمتآمر، لن نتقدم قيد
أنملة في حقل الترجمة. ذلك أن من أبجدياتها قبول الآخر.

3

لماذا كل هذا الفزع من كلمة «حرية». أليست هي نقيضاً لمفردة
«عبودية» بكلّ حمولاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية.

4

اليد التي لا تستطع قطعها، قُمْ بتقيلها.. مثل يسوّقه العجزة
لتبرير النكوص والخذلان واليأس، ويطيل من أمد الطغاة.

5

انفجار!! لفظ مقزّز، لفظ ذو طعم يسمّم الفم، والدم. لم يعد
يثير فينا الرعب كثيرا، بالكاد نتأزّر معه بـ«هاشتاق» ونتحلّق
حوله كالنسور.

هؤلاء الضحايا أكثر بلاغة من قصائدنا، وتغريداتنا المنمّقة. دم
فصيح، يليق بخيائنا وعجزنا المزمّن.

حتمًا، كانت عيون الموتى، تتّجه إلى ناحية ما، ناحية
يصعب الاستدلال عليها.

لكنه الموت، في أعنف تجلياته.
كلنا مدانون.

6

ما يحسب للإعلام الجديد وشبكات التواصل أن أفراداً من منازلهم باتوا يزعجون كيانات إعلامية ضخمة، وينازعونها سلطتها التاريخية.

إلا أننا كعرب، لم ندخل بجديّة عالم الثورة الرقمية، ولم نتعامل مع الإعلام الجديد إلا بوصفه وعاء استهلاكياً، بكل ما يعنيه مفهوم الاستهلاك من سطحية ونفعية آنية، ولا نزال نقدم مادة رخيصة وبضاعة رديئة، بذهنية متخلفة ورجعية.

القول بصناعة الشعر ليس بدعاً، وليس وليد اللحظة الراهنة، عبّر عنه بوضوح أبو هلال العسكري، المتوفى سنة 395 للهجرة، في كتابه المهم الصناعتين: الكتابة والشعر. وللكاتب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس عمل عنوانه، صنعة الشعر، وهو سلسلة محاضرات في جامعة هارفرد.

لا أضيف جديداً، إذا قلت إننا أمة لا تكرم رموزها ؛ من مفكرين ومبدعين، شعراء وقاصّين وروائيين، بل نذهب أبعد من ذلك، إذا زدنا أنهم مطاردون حتى في المنافي البعيدة، ولم تسلم إلا قلة لم تكفرهم مجتمعاتهم، ولم تحاسبهم حتى على نواياهم، وما قصة التفريق بين المفكر المصري الراحل نصر حامد أبو زيد، وزوجته ابتهال يونس بغائبة عن كثير من المتابعين، حدث ذلك في دولة تعتبر قبلة في التنوير، ورائدة في التعليم والثقافة في العالم العربي، فكيف الأمر بسواها!!

على الضفّة الأخرى؛ نجد الأمم الأخرى، توثّق كلّ ما أنجزه سدنة الكلمة هناك، حتى رسائلهم الشخصية، تدخل مزادات علنية، عقب وفاتهم.

خلال أولمبياد لندن أرادوا إحياء عبقرتهم شكسبير، فاستبقوا التظاهرة بمهرجان حمل اسمه، بل جسّدوا أجزاء من إحدى مسرحياته في حفل الافتتاح.

وفي مشهد آخر مضيء، قام بعض دارسي رواية عوليس، لجيمس جويس، بتقصّي آثار البطل في شوارع دبلن.

هل يعرف أحد منّا طريق الرحلة التي عبرها الشاعر الأعشى
«صنّاجة العرب» وصاحب المعلّقة الشهيرة، التي مطلعها:

ودّع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

هل يعرف أحد الطريق التي سلكها، من نجد إلى مكة، لإشهار
إسلامه، الذي لم يتمّ في أرجح الروايات.

ليس من المبالغة، القول أنّ الثقافة في وطننا العربي لم تتعدّ كونها ديكوراً وواجهة، رغم ما نمرّ به من تحولات بنيوية من المحيط للخليج، تحولات قامت بجسر كثير من الفجوة بين السياسي والمثقف وحتى رجل الشارع. بيد أن السياسي لا يزال سيّد الصورة بامتياز.

وفي تصوّري أن فوز مثقف عربي بجائزة نوبل لن يتصدّر المشهد الإعلامي الرسمي، وسيكون متأخراً عن استقالة وكيل وزارة للريّ في دولة عربية مثلاً.

كلّ هذا وسواه يجعل الكثير شركاء في دم الثقافة والمثقف.

بحُثُ الشعراء السعوديين عن دور نشر عربية لإصدار أعمالهم،
هُم أشبه بالأيتام على مأدبة اللثام.

إشكالية المبدع في المملكة وفي الوطن العربي بصورة عامة؛
أنه من يكتب نصوصه، وهو من يراجعها ويدققها إملائيًا ولغويًا
ونحويًا، وهو أيضًا من يذهب للتعاقد مع الناشر ومن يقوم بتوزيع
عمله، وهو بالطبع من يدفع من قوته ثمن العمل.
هذه حالة لا تحترم الكتابة، ولا تقيم شأنًا للكاتب.

أغلب كتّاب المقالات في مشهدنا المحلي، أشبه بالوكيل المعتمد والحصري، تجدهم يتصدّرون زوايا صحفنا ومجلاتنا بطريقة تذكّرنا بأصحاب الدكاكين العتيقة في الأسواق الشعبية، تعرف بضاعتهم التقليدية، البضاعة التي أصبحت لا تناسب مع الظرف والمرحلة.

صحفنا، باستثناءات بسيطة، مازالت - بوعي أو بدونه - تهمّش كثيرا، الأسماء التي تحمل همّا مغايرا ولغة مختلفة، أسماء تعمل في دأب على مواكبة الحراك والتفاعل الخلاق مع مستجدات الواقع.

هذه المطبوعات في تقديري تعمل بإصرار محموم على تكريس وجوه تبسط نفوذها على كثير من أعمدة وافتتاحيات مطبوعاتنا منذ ما يزيد على ثلاثة عقود.

وما تلك الدعاوى التي نسمعها من رؤساء التحرير باسم التغيير تارة، وفتح النوافذ للدماء الجديدة تارة أخرى، إلا شعارات للاستهلاك الآني لا أقل ولا أكثر.

هؤلاء، ببساطة، يبيعون أطعمة مكشوفة في يوم قائف ورطب.

شركاء في صناعة القبح

الآن، وأكثر من أيّ وقت مضى، تتضاءل المسافات وتنحسر الفروقات، بين المتن والهامش، بين المركز والأطراف.

بالتأكيد، ليست هناك مفاهيم يقينية لهكذا تعريفات، فما هو مركز، هو في زاوية أخرى يصنّف في عداد الأطراف.

إلا أنّ شبكات التواصل الاجتماعي طالت الجميع، ولم تستثن أحدا، وهددت إمبراطوريات إعلامية ضخمة، واستطاعت عن طريق معرّفين مجهولين، وشباب، حتى بأسماء مستعارة من كميوتراتهم الشخصية، وربما وهم على أسرة نومهم، أن يهدّموا هذه الثنائية؛ وهذه الوثنية التي استعبدت الذهنية الإنسانية، فترة ليست بالقصيرة، هذه الثنائية، المتن والهامش، أفضت بالبشرية في وقت من الأوقات إلى أسياد وعبيد، وآلت إلى طبقية مستفزة، وعنصرية بغیضة.

وغنيّ عن القول أن بسبب هذه الشبكات المعلوماتية والفضاء

الالكتروني، صار بإمكان المرء في أيّ ركن من أركان المعمورة، التواصل مع أخيه الإنسان «الافتراضي» في الجهة الأخرى من العالم صوتاً وصورة وكتابة. لم تعد الأخوة في اللون أو الدين أو العرق، كما تعارف الناس، بل تبدّلت إلى معان أخرى وجديدة، معان لم تكن مألوفة من قبل؛ عالم افتراضي، أصدقاء افتراضيون، وهكذا.

ما من شكّ في أنّ هذه الشبكات، باتت تشكّل حضوراً طاغياً في حياة الناس، بمختلف أطيافهم وشرائعهم. لم ينبُج من ذلك أحد؛ فقراء وأغنياء، ملونين وغير ملونين، وسقطت تصنيفات كثيرة، فلم نعد نميّز بين الشيخ والمريد، والمعلم وتلميذه.

هذه الهدية الكونية من اقتصاد المعرفة لم تأت حكرًا على النخب وطبقات الأنتلجنسيا الذين احتكروا ردحا من الزمن المعلومة ومصدرها، الكتاب ومؤلفه، البحث ومحتواه، وبالتالي كانوا يهبون أو يمنحون - لا فرق - الثقافة لمن شاءوا، وكيف شاءوا.

ذلك عهد ولّى وانقضى إلى غير رجعة، زمن أضحى في سلة الذكريات، زمن غير مأسوف عليه.

حتى وإن بدا أن بعض المفكرين والفلاسفة لم يبرحوا أبراجهم العاجية، مقيمين في صوامع مكتباتهم الصفراء التي بالتأكيد سيدهمها سيل الخراب وفيالق الدود، وسيصيب أركانها الوهن عاجلاً أو آجلاً، ما لم يفتنوا مبكراً إلى هذا الطوفان الرقمي، والانفجار المعلوماتي.

لا ريب أن الزمن ليس في قاموسه مفردة الرحمة، وعجلة التاريخ لا تعرف السير إلاّ إلى الأمام، فكيف بهذا العالم العنكبوتي، العالم الذي يعيد إنتاج أدواته يوماً بعد يوم، وتتسارع خطاه، بطريقة لا هوادة فيها ولا أناة.

كل ما سبق يدعو إلى البهجة والفرح الخرافي، لولا أننا في الوطن العربي لا نزال مع سبق الإصرار والترصد أمة مستهلكة، أمة تمتهن التلقّي بحرفيّة نادرة، أمة، لا تعرف معنى الإنتاج حتى في أبسط تفاصيل يومياتها، وأدقّ حالات حياتها المعيشية؛ بدءاً من اللباس، وليس انتهاء باللقمة التي تمضغها كل نهار.

أجل، هي أمة مستهلكة، ويتوارث أبنائها هذه الصفة المقيتة جيلاً بعد جيل، ويهبونها غنيمة لأحفادهم، وغير مستعدين - بالقدر الكافي - للانفتاح العاقل على الآخر؛ الآخر الذي يتعامل مع أشباهنا - وهم قلة - كمعوقين وعجزة يُسدى إليهم بشفقة ما يقيمون به أودهم، وما يستعينون به على إدارة شؤونهم الذاتية.

كلّ ذلك هو هديّة الآخر، الآخر، الذي أسس بوعي حادّ واقتدار مدهش لهذه التحوّلات الهائلة، التحوّلات الكونية التي لم تبق أحداً ولم تذر، من شتى المذاهب والأشربة؛ دينيين ولا دينيين، ملوّنين وغير ملوّنين، عالم متقدّم وآخر نام.

وقدّرنا، أنّ كل ما يمكننا فعله إزاء هذا الإنتاج المحموم من التقنية والابتكار، هو أن نلهث لاقتناء هذه الصناعات الحديثة من هواتف ذكية، وحواسيب محمولة وغيرها، دون مبالاة بأسعارها،

أو دراية ببعض أسرارها وخفاياها، همّنا الأوحـد في ذلك هو شهوة الامتلاك، حتى قيل: «هواتف ذكيّة ومستخدمون أغبياء»

نعم، نـسارع في شرائها، غايـتنا دخول هذا العالم الرقمي، حتى ولو كان ذلك من أبوابه الضيقة. لكن، ما يندى له الجبين، أننا مع هذه الرغبة المسعورة في امتلاك هذه الآلات، نعادي، وبصـلف بيّن، الجذر المعرفي الذي أبدع هذه الابتكارات، ونحارب بشراسة، الحواضن، والمناخات الصحيّة التي هيأت لولادتها ووجودها، نفعل ذلك وعلى وجوهنا ابتسامة ساذجة، ابتسامة لا تحمل من تأويل لوجوه أصحابها، سوى أنهم قوم تخلّوا عن المستقبل، وتحالفوا مع ماضٍ، أقلّ ما يقال عنه: أنه لن يعود أبداً، ماضٍ لا يصلح - حقيقة - أن يكون عنواناً لعالم حرّ، عالم متقدّم، عالم يتوجّه للغد، ويشـرع ذراعيه للأمل والحياة.

وليت الأمر يقف عند كوننا أوعية استهلاكية فحسب، بل يذهب إلى ما هو أدهى وأمرّ، ذلك أننا كتلاميذ خائبين، نسيء استخدام التقنية، ونوظفها لمضامين بالية ومقيّنة، وخبيثة في أحيان أخرى؛ كالترويج للقتل والإرهاب والتحريض على الكراهية ومعاداة الإنسان دون اعتبار لآدميته وكرامته.

ذلك مشهد باهت، من سيفساء قاتمة، وبانوراما كئيبة، تمدّ ظلالها على عالمنا العربي من الملح إلى الملح، دون بريق يلوح في آخر النفق، هذا النفق الممتد حتى أقاصي الوجود.

ليس هناك من مبرّر موضوعي لهذا العجز والنكوص.
كلّنا مدانون، أفرادا وجماعات، شعوبا وحكومات، الكلّ شريك
في صناعة هذا القبح الأبدي، وأسمالنا ملطّخة بدم الجريمة.
هناك دول وشعوب أقلّ منا دخولا، ولها ظروفها التاريخية
والسياسية والاقتصادية، لكن محنها وهزائمها لم تطل،
واستطاعت لأسباب كثيرة، ليس هنا مجال استعراضها، أن
تفيق من غيوبتها، وتتجاوز عثراتها، ولم تبلغ الزمن القياسي،
الزمن الأولمبي، الذي بلغناه عجزا وتخلفا.
حقّا، نحن الذين لا شبيه لنا.

وصدقت نبوءة أحمد بن الحسين منذ أكثر من ألف عام:
«يا أمة ضحكّت من جهلها الأمم».

غيب الموت الفنان الجيزاني أحمد محه «من مواليد قرية الحمى» رحل هذا الفنان دون ضجيج، ودون عزاءات رسمية وهاشقات.

استمعت لأغنياته بداية الثمانينات من القرن الماضي، كان واحدا من كوكبة فناني منطقة جيزان آنذاك، أمثال محمد جيلان، والحكومي، وعلي صبياني، وجبران مكحل، وطلال جبلي، وصالح خيرى

هؤلاء، وسواهم كانت أغنياتهم، وألحانهم يتداولها الجميع في تلك الفترة، وكانت أشرطتهم تباع في الأسواق الأسبوعية، وأصواتهم تصدح في كل بيت تقريبا، حيث كان الفن سلوى الناس الوحيدة.

أتمنى على جمعية الثقافة والفنون في جيزان، أن تكرم هذه الأصوات، ولو بعد موتها «جريا على عادتنا العربية»، أن تكرمها بأي طريقة شاءت، فذلك في اعتقادي جزء أصيل من دور الجمعية، والمؤسسات الثقافية بوجه عام، وقبل هذا وذاك هو حقهم علينا.

وداعا أحمد محه، ولا عزاء للفنانين المنسيين في حياتهم، وفي مماتهم.

معدّل القراءة في العالم العربي يتراوح حول مستوى أربعة في المائة، ونصيب القراءة لدى القارئ العربي لا تتعدى ست دقائق فقط.

ذلك ما يفجعنا به أول تقرير عربي للتنمية الثقافية صادر عن مؤسسة الفكر العربي. هذا هو حال أمة «إقرأ»

وتذهب بعض الإحصائيات التي تبين الفجوة الثقافية الهائلة بين العرب والغرب؛ أن ما ترجمه العرب من أيام المأمون إلى العام 2006 م، حسب تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة، يعادل ما تترجمه دولة مثل أسبانيا في سنة واحدة! ومجموع ما يترجمه العالم العربي سنوياً يساوي خمس ما تترجمه دولة متواضعة مثل اليونان، متواضعة بالمقاييس الأوروبية للترجمة.

إن صناعة الكتاب في العالم العربي مثقلةٌ بالوجع، ومتأخرة جداً، والكاتب يُرهق بعمل كل شيء، بدءاً من الطباعة، واستصدار التراخيص، والبحث عن ناشر ومؤسسة توزيع، لطبع في نهاية المطاف 3000 نسخة لا تباع ربعها، لأن الجماهير عازفة عن القراءة، لأسباب عديدة، ليس المجال هنا لاستعراضها.

ولك أن تتصور أن 90 ٪ من معارف العالم اليوم، علمية وفكرية واقتصادية، وسواها، تكتب باللغة الإنجليزية، وما يتبقى 10٪ تتقاسمها لغات كالاسبانية والصينية والألمانية والفرنسية و6000 لغة أخرى من بينها العربية.

العرب كَرَّموا الأنثى فسَمَّوا قبائلهم «هوازن» و«جهينة» بأسماء نساء، ويطلقون على العالم «علامة»، والفهم «فَهامة» حتى ألَهِتَهم، أخذتُ أسماء مؤنثة «اللات والعزى» ومن اللطائف أنَّ أمَّ الكتاب مؤنثة «الفاطحة»، وتَسَمَّى كثير من الشعراء بأسماء نساء لعلَّ أشهرهم «ابن الدمينه»

وفي كثير من مواضع لغة الضاد، يذكّر المؤنث ويؤنث المذكر، ومن ذلك قوله تعالى «وقالت الأعراب» الأعراب فاعل مذكّر، غير أن الفعل دخلت عليه تاء التأنيث، والعكس كقوله: «وقال نسوة» نسوة فاعل مؤنث، ولم تدخل التاء على فعله. وتساوي بينهما كذلك، لا فرق بين مؤنث ومذكّر، نحو: رجل عجوز وامرأة عجوز، ورجل جريح وامرأة جريح.

إلا أنَّ ما يؤسف له، ما نجده في مطلع القرن الواحد والعشرين من بعض المتشدّدين، الذين يرون في المرأة عورة، مفضّلين بقاءها في البيت عن الخروج للعمل، ويجدون حرجاً حتى في ذكر أسماء أمهاتهم وزوجاتهم.

الوجوه
ما يكفي لزراعة حقل..

مما لا شك فيه أن الشاعر محمد الشبتي يمثل حالة استثنائية في المشهد الشعري السعودي، إن لم نقل في الجزيرة العربية خلال الربع الأخير من القرن العشرين.

مبدع «التضاريس» كان صوتاً مغايراً، استطاع بحرفة شعرية أن يواءم بين النخبوية والجماهيرية في مزج إبداعي لم يتوفر إلا لقامات نادرة يتقدمهم درويش.

إذن، لم تكن تجربة صاحب موقف الرمال، غريبة الوجه واليد واللسان، كلا، ولم تكن نبأ شيطانيا بل جاءت تنامياً للمراحل السابقة على التضاريس، بدءاً بعاشقة الزمن الوردي، مروراً بتهجيت حلما تهجيت وهما.

أتيت أركض والصحراء تتبعني..

وأحرف الرمل تجري بين خطواتي.

كان سيد البيد ينزع من البدء لخلق معجم شعري خاص به، إنه معجم الصحراء، المعجم، الذي كان يتكئ على مفردة تراثية.

هذا المزج بين اللغة المعجمية في سياقات حديثة مع تنوع في

الإيقاع العروضي، من المتدارك:

«مسه الضر هذا البعيد القريب

المسجى بأجنحة الطير

والنمل يأكل أجفانه والذباب»

والمتقارب:

«أدر مهجة الصبح

صب لنا وطننا

في الكؤوس»

والطويل:

«ألا قمرا يحمُر في غرة الدجى..

والكامل: كما في قصيدة الأوقات

«فإذا المدينة شارع قفر..

والرمل:

«مدّنا في ساعديك

واحفظ العمر لديك.

إذن لم تكن فرادته قادمة من فراغ، كان يتمثل أيضا منجز التراث العربي والإنساني:

«واطو أحلام السليك»

و: «وجه ذو القرنين عاد

مشربا بالملح والقطران»

هذا الفضاء والمعمار الفني الذي يبدأ بالمستوى الإيقاعي واللغوي، ولا ينتهي بالأسطوري؛ مهّد له خوض التجربة الجديدة بأقدام راسخة، لهذا جاءت تجربة التضاريس مختلفة لغة ورؤيا، التجربة التي احتفى بها الكتاب في المشهد الثقافي المحلي احتفاء قلّ نظيره.

كان نموذجا للعديد من نظريات ودراسات النقد، الأمر الذي جعل الكثير من شعراء الثمانينات والتسعينات تتلقف هذا الرمز.

ساهم الإعلام في ذلك كثيرا بالرغم من حضور مجاليه في تلك المرحلة، كالدميني والصيخان والحربي والألمعي والعودة وغيرهم، غير أن صاحب بوابة الريح كان منجزه الشعري في متناول الجميع، حاضرا في جميع المكتبات، في الوقت الذي كان الآخرون لم يصدروا ديوانا واحدا أو أنهم أصدروا، ولكن، خارج الحدود.

هذه الملامح وغيرها هيأت لتجربة سيد البيد أن تمدّ ظلالها على كثير من نصوص تلك المرحلة.

بعدها توقف الثبتي إلا من قصائد قليلة، نتيجة كثير من المتغيرات التي أصابت الحركة الثقافية عموماً بانكسارات وإحباطات متوالية، ليعود بموقف الرمال وحضور منبري بهيج كان آخره تألقه في فعاليات الأيام الثقافية السعودية في صنعاء متزامناً مع استعادة المشهد الثقافي كثيراً من عافيته.

* الراحل عمل معلماً بمدينة بيش في منطقة جازان بداية حياته العملية، وآخر أمسياته المحلية كانت في خميسية الموكلية بقرية الطيبة في جازان قبيل سفره الأخير لليمن.

2

ب وفاة غازي القصيبي تسقط حلقة من حلقات التنوير والإصلاح في العالم العربي مروراً بالجابرى ونصر حامد أبوزيد وليس انتهاءً بصاحب «عرس بعل» و«اللاز» الروائى الجزائرى الطاهر وطار.

صاحب (حتى لا تكون فتنة) كان رمزاً للتفكير فى زمن التكفير. قبل أيام وهو على فراش الموت قررت وزارة الثقافة والإعلام فسح كتبه.. يا للفضيحة.. عليكم أيها الكتاب أن تعاشرُوا الموت كي تنال كتبكم الفسح بالدخول إلى المكتبات المحلية. أُنتم أبناء هذا الوطن يا مَنْ تكتبون عن همومه، ولكنكم لن تقرأوا إلا خارج الحدود. هناك، بعيداً، بعيداً.

حتى أنت أيها الوزير الدبلوماسى غيبك الموت قبل أن تذوق طعم المكرومة الثقافية بالفسح.

تعرفت على غازي القصيبي مبدعاً، فى المرحلة المتوسطة فى عمله «الحمى»، سمعته فى تسجيل صوتى، وكانت تجربة جديدة حينذاك.

بعد ذلك قرأت أعماله الشعرية الكاملة. رغم أنه كان متهما بالتلمذة في المدرسة النزارية إلا أن صوته كان فريدا.

ها أنت تعود إلى الأماكن القديمة حرّا لم ينكسر قلمك أمام الظالمين، ولم يقف إبداعك عند جنس معيّن.

كنت رجلا في مؤسسة ومؤسسة في رجل.

أحييناك شعرا، وسردا، وناقدا، ومفكرا، ووزيرا، ودبلوماسيا، وإداريا استثناء. كتابك في الإدارة، ستعرف قيمته الأجيال القادمة.

ها أنت ترحل سيدي ولم تبح بالسّر العظيم،

أتى لك كل هذا الوقت واللغة العصيّة للكتابة؟

وداعا أبا التنويريين في الجزيرة والخليج.

أحمد الصالح مسافر.

واحد ممن أنجبتهم قارورة العطر الصحراوية «عنيزة». من الشعراء القلائل الذين ظلمهم الإعلام كثيراً، وبالمقابل لم يكن هو من الذين أصابتهم حمى الأضواء، واللهاث المسعور للحضور كيفما اتفق.

منذ ديوانه الأول «عندما يسقط العراف» والقارئ يستشرف في نصوصه النزعة للتجديد، والابتكار في الصورة، وبناء الجملة. نسافر مع نصوصه رفقة أسئلته المتوالدة التي لا تفضي بك قطعاً إلى أجوبة حاسمة، بل إنّ السؤال الواحد غالباً ما يزرع سلالة أخرى من الاستفهامات.

أنا كتاب مفتوح منذ بداياتي، هكذا يقول صاحب «قصائد في زمن السفر» في واحد من حواراته، وهكذا هم الشعراء الحقيقيون، ليس لهم وجوه مستعارة غير وجوههم الأصلية.

أجل، الصفاء والبهاء لا يورق إلاّ القصائد الجميلة.

حينما تقرأ الأجيال اللاحقة لهذا الشاعر، عليها أن تظن إلى السياق الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي كتب فيه المبدع نصّه، هذا إذا أردنا أن نكون أمناء للعمل الأدبي عموماً، ولقصيدة أحمد الصالح مسافر بوجه خاص.

توظيفه للتراث، والأسطورة من رافعات القصيدة، تنبّه لهما الشاعر قبل الكثير من مجايليه المحليين، يفعل ذلك كما يفعل غيره من مبدعي العالم، حتى لا يجفّ ماء القصيدة، ويخبو بريقها مع تقادم الأيام.

يسميه سعد البازعي: شاعر المرأة، ويصنفه بدوي طبانة في طليعة الشعراء الغزليين العشاق، ذلك ما قاله الشاعر والناقد عبد الله الوشمي في ليلة تكريمه بنادي الرياض، وحسنًا فعلوا. وأفردت له الجزيرة الثقافية ملفاً يليق بقامة وقيمة كالشاعر مسافر. ويتوجّب أن نتفّض جميعاً لنقرأ بشكل آخر، ورؤية مغايرة لصاحب «انتفضي أيتها المليحة» إذ من المحال التجاوز فنياً وإبداعياً بالقفز على المراحل، لأنّ ذلك يسمّى «نشاذاً» شئنا أم أبينا!!

وكيف لنا التعاطي مع المنجزات الجمالية الحديثة، ونحن لم نستوعب مشهدنا الشعري القريب. هذا الجسر الثقافي الطويل، لابدّ أن يكون ممدوداً، لمن أراد الوصول.

الأستاذ والأديب الموسوعي حجاب الحازمي واحد من الوجوه الثقافية المشرقة التي تعلّمك أدب الاختلاف بحسّ إنساني قلّ مثيله.

ذات مساء وفي سنة 1986م كنت سائراً في أحد شوارع الحي الذي يسكنه أديب قريتي البارز. فجأة، تقف سيارة بجانبني كان يستقلها الأستاذ حجاب. حدثني: أنت الابن إبراهيم الذي قرأت له قصيدة في الملحق الثقافي، بإمكانك المرور عليّ في البيت بعد صلاة العشاء. لم أصدق آنذاك أن الأديب الذي أقرأ له في الصحف والمجلات والمؤلف البارز يعرفني.

ذهبت في الموعد المحدد، كنت مغتبطاً بالخطوة التي نلتها. تجاذبنا أطراف الحديث في كثير من هموم الثقافة وشؤون الأدب؛ أذكر من ذلك الحوار، عندما وصلنا إلى مجموعة (دوائر في دفتر الزمن) وغاب عن ذاكرتنا في تلك اللحظة كاتبها، فتقدم ابنه حسن الذي هو الآن الدكتور حسن حجاب الأديب والناقد المعروف فقال: سباعي عثمان.

لقد كان للأستاذ حجاب فيما بعد فضل كبير، حيث أضاء لي

الطريق ودلّني كي أتلّمس درب البدايات. كان يتعامل مع الجميع من أبناء جيلي كأب قبل أن يكون مثقفاً ومعلماً.

مكّني وهيّاني كي نذهب سوياً ابنه حسن، وأنا، لتمثيل المملكة في مهرجان الشباب الخليجي للشعر والقصة الثالث في أبها ومنه انطلقنا كي نمثل الوطن في الشعر والقصة عربياً.

هو من أخذني لنادي جازان الأدبي في أول أمسية شعرية مع الشاعر حسن حجاب والشاعر حسين سهيل العام 1987 م.

الأستاذ حجاب الحازمي لم يأت من البوابة الخلفية للثقافة والأدب، بل سليل أسرة تمتد جذورها في أعماق المعرفة والعلم، أسهمت بتاريخ مشرق في صفحات الوطن.

كان يتكلم عن ضمد التاريخ والثقافة؛ من بين ما يقوله لي؛ أن ضمد كانت تسمى: (بلد الألف عمامة) وكنت أراه العمامة الأولى قبل الألف.

أديب موسوعي كتب الشعر كأجمل ما يكتب الشعراء، لم يجمع أعماله في ديوان حتى الآن، وفي تصوّري أن على النادي تقع هذه الأمانة كي يوفّيها لرجل قدم للمنطقة وأبناءها الشيء الكثير.

مجموعته القصصية (وجوه من الريف) من أوائل القصص التي تسرد التفاصيل الدقيقة لطرق الزراعة والري في جنوب الجزيرة العربية ومن أوائل المجموعات التي فيما اعتقد استلهمت الموروث الشعبي بكل تجلياته.

كتابه النقدي (أبجديات في النقد والأدب) إسهام نقدي لم ينل
حقه من القراءة والدرس.

بحثه التاريخي المهم عن الشاعر ابن هتيمل الضمدي أضاء
رحلة تاريخية في أدب المنطقة تمتد إلى القرن السابع.

هذا الرجل يخجلك بأدبه الجمّ، فيه تواضع العلماء ونبل المثقفين
الأسوياء.

إنني واحد من تلاميذك يا سيدي، تعلمت أبجديات الأدب
والفن على يديك. وأنت، كما عهدتك، الفارس الذي يسير
خلفه جحافل من الشعراء والمثقفين مدّرعين بالنشيد والغناء.

عليك يصدق قول المتنبي:

وإذا كانت النفوس كبارا.. تعبت في مرادها الأجسام.

عن الشاعر الراحل علي النعمي.

ذات مساء، في عام 1987م ذهبت إليه كي أُجري معه حوارًا صحفيًا، للملحق الثقافي لصحيفة الندوة. عندما دخلت بيته، بدا لي كناسك، كان وحيدًا في عزلته، إلا من قصاصات ورقية تحمل عبقه ورائحة قصائده.

الذي حفّزني للقاء مبدع «عن الحب ومنى الحلم» لم يكن الحسّ الصحفي، بل الشغف بهذه القامة الثقافية التي يهدر الشعر في داخلها كنهر لا يتوقف، ذلك البريق الذي يسرق أعيننا، محتشدًا بالحزن، واللغة التي تشبه الطلقات.

هذا الشاعر الذي ألهم كثيرًا من مجايله، ورجّ ذائقة المتلقين، في منطقة جيزان، أوائل السبعينات الميلادية، وما تلاها.

كانوا يتلقّون نصوصه كالغنائم، ويتدارسونها في مجالسهم كالوصايا.

لم يكن شاعرًا متعاليًا، كان صديقًا للجميع، ومن مختلف

التيارات والأعمار.

من ألق العشب وحقول الذرة الذهبية، خرج كرمز من رموز القصيدة في المشهد الشعري السعودي.

وظّف كثيرًا من مفردات الحصاد، والحقل، وأناشيد الفلاحين في قصائده، إذُ تعتبر وثيقة وواحدة من مكوّناته الشعرية، على الرغم من أنه لم يطبع أول دواوينه إلا متأخرًا قياسًا إلى بداياته، غير أنه كان حاضرًا في ذاكرة المتلقّي.

تجربته الصحفية في اليمامة، وذهابه شاعرًا إلى بغداد، ودراسته في الأحساء، أثّرت كثيرًا في سياقه الإبداعي، كان يحدثنا عنها بحبّ يتألق من عينيه كبرق جنوبي حتى أواخر أيامه.

ما الذي عرفته من صاحب «الأرض والعشق»؟

الآن، كأنّ الذاكرة لا تسعفني، أو كأنها تستعصي أن تبوح للكتابة.

كان بحقّ يعيش الشعر قبل كتابته. كفتيّ عشريني، لم يتوانَ عن الاستجابة لأيّ دعوة من مريديه.

عندما أذهب إليه لأصعبه معي لبعض المجالس الثقافية، وهو في قرينه (الحرّجة) والتي يحلو له تسميتها «الحزام الأخضر» أجده أمام منزله منتظرًا في نهارات ساخنة، محترمًا للوقت والحياة ومتوهّجًا كالذهب.

أبادره بالسؤال هل مازلت تحبّ الليل؟ فيردّ: أسهره حتى مطلع الفجر.

كأنّ حياته تتنادى من بعيد كهلال القرى، وكذلك مماته.

يقول عبدالوهاب البياتي في كتاب المراثي:

قبرك في المنفى

وقبرك في الوطن

قبرك في كلّ مكان

شعّ فيه الضوء والكفن

أستاذي، عمر طاهر زيلع:

كنت شغوفاً بلغتك وتساؤلاتك قبل أن أراك؛ كان ذلك عبر زاويتك «ألق» في عكاظ منتصف الثمانينات. وعندما التقيتك كانت طفولة الأسئلة تغويني، وكانت حكمة الإجابة من لدنك تحرّض على الكثير من القلق المعرفي.

كنت تتحدّث عن السريالية وتعود للكلام عن الغزالي وابن رشد. كأنّ كل ينابيع الضوء تمتزج في ذاكرتك، وأنت تتأمل المشهد من مقام عليّ، فيما نحن نشير لك بقبعاتنا.

أذكر أنك أعرتني أعمال الشاعر خليل حاوي، والحرافيش لنجيب محفوظ، كان ذلك في نهاية المرحلة الثانوية.

من خلالك عرفت الفنان علي ناجع، والفنان خليل حسن خليل، والأديب عبد الرحمن رفاعي، والمبدع الكبير عبد الله باخشوين.

ظلك المديد كان الأكثر تطاولاً يا سيّدي، ووشمك لم يزل مطبوعاً.

الشاعر والكاتب عبد الواسع سعيد عبده، من شعراء جازان وكتابها الذين امتدّت لهم يد النسيان، ولم ينل حظه من التكريم في حياته، وعقب مماته. كان أحد كتاب صحيفة عكاظ، مطلع التسعينات الميلادية من القرن الفائت.

صدر له ديوان واحد «دوائر الصمت» كتب مقدمته الشاعر والمفكر الكبير محمد حسن عواد.

آمل من مثقفينا الذين جالوه أن يضيفوا لنا شيئاً عنه، لأنّ المصادر شحيحة عن هذا الرجل حتى في قول!

من زمن ليس بالقصير قرأت ديوانه، وبعض كتاباته في عكاظ إبان أزمة الخليج، ولا يزال عنوان واحدة من مقالاته في ذهني لليوم، «من صبا إلى بوبيان». التقيته قبل وفاته في مستشفى صبا العام حيث كان موظفاً هناك.

غاب أحمد موسى حديب، غاب دون أن يخبرنا عن أوان رحيله، انصرف باكراً عن الحياة، اختطفه الموت سريعاً. بالتأكيد أنه واجه حتفه بابتسامة، تلك الابتسامة التي تنتشر على محيط وجهه المسكي، وجهه الذي لم يعرف العبوس منذ عرفته في المرحلة الثانوية، وجهه الصامت والضحوك في آن. قضى أحمد موسى في حادث مروري، وهو في ذهاب أبيض إلى مكة الله، رفقة أسرته.

كان يوماً حزيناً في ضمد، ضمد التي كتب عنها في عمليه القصصيين «اتجاه آخر» عن أدبي جازان، و«كما يريد الصغير» الصادر عن دار أزمدة.

قريته التي احتفى بها، تقف اليوم واجمة لا تدري ماذا تقول عن وفاته.

لم يكن أحمد مثقفاً ومبدعاً وكاتب قصة فحسب، كان دوره يذهب أبعد من ذلك. عمل اختصاصياً اجتماعياً في مستشفى الملك فهد بجازان، وكان الكل يشهد له بالتفاني في خدمة المراجعين.

لم يكن يفرّق بين صغير وكبير، بين قريب وبعيد، كان أيقونة للنبيل والصفاء في أروقة المستشفى، تصافحك ابتسامته، قبل أن تمتدّ يمينه إلى يمينك. أضف أنه كان لاعب كرة قدم من طراز فريد، قبل أن يتحوّل إلى حكم رسمي في رعاية الشباب. من هنا أهيب بنادي جازان الأدبي أن يبادر إلى طبع أعماله السردية التي لم تطبع، ويبادر بإقامة ندوة ثقافية لمناقشة مجاميعه القصصية، ذلك أن الراحل لم يكن يتغيّب عن نشاطات النادي، وورشه الثقافية.

وتقع أمانة كبرى على وزارة الصحة، ممثلة في الشؤون الصحية في المنطقة، التي قضى معظم سنيّ عمره في أقسامها ومستشفياتها، أقلّ تقدير أن تضع اسمه على إحدى قاعاتها الطبية، ذلك أدنى ما يمكن من وفاء لهذا الرجل الذي لا يختلف على إخلاصه وتفانيه في عمله اثنان.

شكّل الشاعر محمود درويش حالة استثنائية في المشروع الشعري العربي، حيث كان من النادرة أن يتفادى شاعر عربي طغيانه الإبداعي، إبداعه الذي مدّ ظلاله على كثير من رفاقه الشعراء العرب، والأصوات التي تلت، لسبب بسيط؛ أنه ارتفع بالسقف الإبداعي مدى ينذر تجاوزه، لاسيما في سياقه، وخطّه الإبداعي.

هاهو «عاشق من فلسطين» يترك حصان الشعر وحيدا، ويعود إلى خبز أمه مثلما تموت العصافير في الجليل.

الذي «رأى أحد عشر كوكبا» كان أخطبوطا شعريا ومدرسة لا تشبه إلا نفسها.

الشاعر السويدي الراحل توماس ترانسترومر الحائز على جائزة نوبل العام 2011م لا تتجاوز أعماله الشعرية أربعمئة صفحة فقط، لكنّها محتشدة بالضوء والفرادة!!

أعماله الشعرية نقلها إلى العربية قاسم حمادي، وأعاد قراءتها وقدم لها أدونيس، صدرت عن دار بدايات، للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الأولى 2005م.

ظهر ترانسترومر « 15 أبريل 1931 – 26 مارس 2015 » في صورهِ الأخيرة وقد بدت آثار الجلطة على يده اليمنى، مع حبسة في الكلام، لكنه تعلم الكتابة بيده اليسرى، وصار يعزف الموسيقى بها.

من قصيدته «أسرار على الطريق» يقول:

ارتطم ضوء النهار بوجه النائم.

فازداد حلمه حيوية

لكنه لم يستيقظ.

ارتطمت العتمة بوجه من كان

يمشي بين الآخرين تحت

خيوط شمس جزعة كثيفة.

فجأة أظلمت، كهطول مطر غزير

كنت في مكان يتسع للحظات كلها-

متحف فراشات.

مع ذلك لا تزال الشمس حادة كما كانت.

كانت ريشتها المتلهفة ترسم العالم.

وداعا عدلي رزق الله، (1939 - 2010) الفنان التشكيلي صاحب اللوحة القصيدة. هذا الفنان الذي كتب عنه ادوارد الخراط، وأحبه، إذ كانا من «أخميم» من أقدم المدن المصرية، حسب توصيف ويكيبيديا، وانطلقا معا لفضاءات فنية خارج السائد والمألوف.

الطريف أن هذا الفنان كان يقسّط لوحاته لسعيد الكفراوي صاحب مدينة الموت الجميل، وستر لعورة، ولعبده جبير، بمبلغ عشرين جنيهًا شهريًا، كما قال في حوار معه.

من أهمّ أعماله (نحتيّات مائية) ولاحظوا المفارقة في كلمة «نحتيّات» بما تعنيه من صلابة، و«مائية» بما تدلّ عليه من انسيابية وتماؤ.

من أقواله: إذا كان الذي بنى الأهرام جدّي فهل أستحقّ أن أكون حفيده!

الشاعر الراحل حزام العتيبي من شعراء الثمانينات، عمل في الصحافة فترة تزيد على ثلاثين سنة، وكان أبرز ما تميّز به أنه إنسان لا يعرف المجاملات والمداهنات، ومواقفه وآراؤه إما ييضاء أو سوداء وليس في معجمها لون رمادي.

رحيل صاحب استراحات على سطح الثريا، فاجعة، لكنّ موته يوجّه رسالة للجميع بأنّ الموت أكبر، أكبر من كلّ خلافتنا وأعظم منّا دون استثناء.

رامبو وزمن القتلة، كتاب صادر عن دار المدى، لمؤلفه هنري ميلر، وترجمة الشاعر الكبير سعدي يوسف. عمل يستحق أن يقرأ أكثر من مرة؛ ذلك أن صاحب «مدار السرطان» يتقاطع كثيراً مع حياة صاحب «فصل في الجحيم»، يتقاطع معه في العذابات والتشرد.

في العمل شيء من رحلاته ومكابداتها، في عدن والحبشة وغيرها.

ما يدهش في الكتاب الترجمة الرائعة والاحترافية لصاحب نهايات الشمال الإفريقي؛ في اللغة الباذخة، وفي المفردات التي يختارها بعناية، ليس هذا فحسب، بل حتى في الفواصل والنقط وعلامات التعجب، وكأنما إضافة إلى كل ما في العمل من متعة، يمنحنا المترجم درساً مجانياً في الإملاء.

منذ زمن مبكر، كنت قد قرأت «إشراقات» و«فصل في الجحيم» و«القارب الثمل» أو «المركب السكران» في بعض الترجمات، وقرأت الأعمال الكاملة التي ترجمها الرائع كاظم جهاد، وأهداني مشكوراً الشاعر والمترجم المصري رفعت سلام،

ترجمته لأعمال رامبو الكاملة.

لكن، ما لفت نظري، وأنا أقرأ «العابر الهائل بنعال من ريح» رسائل آرثر رامبو، الصادر عن أزمئة، ترجمة شربل داغر أن رامبو تعلّم العربية، ووصل مدينة «الحديدة» الساحلية على البحر الأحمر.

الله، يا رامبو، وصلت الحديدة؟ هذه المدينة التي لا تبعد عن مكان إقامتي سوى مئتي كيلو متر، تزيد أو تنقص قليلا. سأقرأك مرّات ومرّات، إحياء لذكرى عبورك على هذه المنطقة، المنطقة التي نشابه معها في كثير من الأشياء.

* عمل تاجر السلاح ونخاسا، غير أنه لم يعد للقصيدة عقب رحلاته،
وحين وصل إلى مرسيليا بترت ساقه، ومات على إثر ذلك في العام
1891م

* بعد نهاية عمله «فصل في الجحيم» وهو في التاسعة عشر، لم يعد
لكتابة القصيدة، باستثناء الرسائل التي كان يحررها لأخته إيزابيل أثناء
سفره.

* في ترجمة كاظم جهاد لأعماله الشعرية، الصادرة عن دار الجمل مع
مقدمة لعباس بيضون، وآخرين، أن رامبو خلال إقامته في الحبشة
واليمن كان يوقع مراسلاته باسم «عبد رامبو»

حينما أشاهد صور زوكربيرج، أقول في نفسي: هل كان يتوقع ذلك الشاب الوسيم أن بتأسيسه موقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك)، سيغيّر حياة أكثر سكّان المعمورة، تغييرا كونيا لم يستثن أحدا، تغييرا، طال الناس جميعهم بمختلف توجّهاتهم ومكوّناتهم؛ حيث غدتْ أغلب المنتديات والمواقع والمدوّنات، وطيّب الذكر «الماسنجر»، شيئا من ذكرى الماضي.

ما حقّقه مارك زوكربيرغ «مواليد نيويورك العام 1984م من أسرة يهودية غير أنه يعتبر نفسه ملحدا» لا يبتعد كثيرا عمّا أنجزه الكثير من رموز القرن العشرين مثل جيفارا وماركس وغاندي ومارتن لوتر كنج وغيرهم.

الفنان المكّي طاهر كتلوج، فنان شعبي بنكهة خاصّة، ولون حجازي مميّز. يذهب عميقا في أغانيه صوب الفقراء والكادحين والمهمّشين والعمال والعاشقين خارج السياق، يهزج برغباتهم السريّة، وهواجسهم المارقة على العرف والتقليد الاجتماعي. لم يهتمّ به الإعلام الرسمي، ولا أعرف جهة حكومية أو أهلية قامت بتكريمه.

في مقهى زهرة البستان بوسط القاهرة، حضرت اجتماع المثقفين الذي يعقد كل جمعة، وكان هناك عدد من الكتاب أمثال عبد المنعم رمضان، ومكاوي سعيد، وهدى حسين، وطه عبد المنعم، ونجاة علي، وعزت القمحاوي، وأمل عبد الله، وكان أن جاءت سيدة ثلاثينية يبدو عليها التعب والإرهاق. قامت بالسلام علينا، فرد عليها عبد المنعم رمضان: «إزيك يا مي»، ثم طلبت سيجارة وكوبا من الشاي، وبعد قليل جاءت إلينا تريد رقم جابر عصفور، يومذاك كان وزيراً للثقافة، قائلة: «عاوزه اكلّم وزير الثقافة، أريد علاجاً على نفقة الدولة، في العباسية أو في أي مكان» فسألتُ الشاعر عبد المنعم رمضان: من هذه المرأة؟ فقال: هذه مي، ابنة الشاعر صلاح عبد الصبور، مريضة نفسياً، وتحلم بالعلاج.

ابنة رائد المسرح الشعري العربي، وصاحب القصيدة الأشهر «الناس في بلادي»، وديوان أقول لكم، وتأمّلات في زمن جريح، تتسوّل العلاج! عقب ذلك شعرتُ بغصة في حلقي، وأصبت بكآبة غريبة، وقلّتُ في نفسي، بئس الثقافة إن لم تتحول إلى سلوك، وسحقاً للأدب الذي لا نعرف من معناه إلا المطبوعات

والمجلات والمهرجانات، وخرجت من مقهى الزهرة وأنا أردد
بوجع باذخ:

«الناس في بلادي جارحون كالصقور»

كان وأخواتها

مصاييح تتوسّط شارع القلب..

1

على مدى سنوات عديدة، كانت هناك سينما في منطقة جيزان منتصف السبعينات الميلادية وما قبلها؛ في صبيا وضمّد وغيرها، وكان الناس يرددون: نحن ذاهبون للسينما.

هذا الواقع لم يكن حكراً على جيزان فحسب، بل حالة عامة في جميع أنحاء المملكة. وكانت الحياة طبيعية، والناس أسوياء، وربما أكثر مما هم عليه الآن.

هذه الأيام، في كلّ بيت سينما، وإلاّ ما ذا نسَمّي قنوات مثل: روتانا سينما، وروتانا. كلاسيك، ونايل سينما، وسما سينما، فضلاً عن قنوات الأفلام الأجنبية، ولم يتبقّ إلا أن تُطفأ الأنوار!!

لا أجد حدثاً في العام 2014، يضاهي حدث الحرب العالمية الأولى التي وقعت في مثل هذه السنة قبل مئة عام، حدث ولا شك مدّ ظلاله على القارة الأوروبية كافة، غير أن أولئك القوم تجاوزوا خلافاتهم، وثاراتهم العرقية والدينية والثقافية، رغم ما تجلبه الحرب من مأس وويلات، وجرحى، وما تخلفه وراءها من حزن كبير، وألم ممض. (أكثر من تسعة ملايين مقاتل لقي حتفه جراء تلك الحرب) ليس هذا فحسب؛ بل حدثت حرب كونية أخرى «الحرب العالمية الثانية» إلا أن كلتا الحربين دخلتا متحف التاريخ، وصار الناس هناك ينظرون إليهما كذكرى، يشاهدون صورها كفلكلور.

هذا ما يحدث هذه الأيام في دولة البوسنة والهرسك وهي تحتفل بمرور مئة عام على اندلاع الحرب العالمية الأولى. (بدأت في 28 يوليو 1914 وانتهت في 11 نوفمبر من عام 1918) نسوق هذا الكلام وأوروبا اليوم باتت قوة موحدة في اتحاد يجمعها، اتحاد له سياسة زراعية مشتركة واستراتيجية صيد بحري موحدة، وله اقتصاده الراسخ عبر عملة موحدة اسمها اليورو، يجمعها اتحاد ذو برلمان خاص (يشارك بوضع القوانين،

ويصادق على الاتفاقيات الدولية وعلى انضمام أعضاء جدد، كما يملك صلاحيات واسعة في ما يتعلق بالميزانية المشتركة للاتحاد الأوروبي) وله ممثل باسمه في كافة دول العالم يعبر عن مواقفه ورؤاه.

رغم الضحايا التي خلفتها الحربان السابقتان إلا أن شعوبها ارتأت أن تعقد حلفا مع المستقبل، وتنسى الماضي الذي لن يكون بالتأكيد قنطرة صالحة للذهاب صوب العالم الجديد، ولن يبدو جميلا وورديا، صحة الأجيال القادمة.

هذه الصورة المثالية تقابلها صورة تمثل النكوص بكل ما تعنيه هذه الكلمة من دلالات وحمولات، فيها ما فيها من الانكسار والهزيمة والإحباط.

إنها صورة العالم العربي، هذا العالم ذو التاريخ الممتد لآلاف السنين، هذا العالم صاحب الحضارة والتراث المجيد الذي يضرب بجذوره عميقا في قلب التاريخ؛ مهد الديانات وموطن الأنبياء، والطريق الحيوي لتجارات العالم القديم، الوطن الواحد الممتد من المحيط إلى الخليج أو من الجرح للجرح كما يقال عنه، وهي العبارة الأكثر صدقا في توصيف الحالة التي يعيشها واقعه الراهن.

هذا الوطن العربي - كما يسميه المتفائلون - فيه من مكونات الوحدة ما يفوق ما اجتمعت عليه دول أوروبا، تلك المجتمعات على اختلاف دياناتها ولغاتها وموروثها الثقافي، ناهيك عن

الحروب الطاحنة التي شردت الملايين منها.

لننظر لهذه الدول، الدول التي لا تزال تعتاش من ذاكرة البسوس، وحرب داحس والغبراء؛ هذه فلسطين «عروس عربتكم» بحسب توصيف الشاعر الكبير مظفر النواب، حدث عنها ولا حرج، ففيها حكومتان ودولتان، ما هياً للعدو الإسرائيلي أن يتفنن في البطش والتنكيل بها وبأهلها، فهي كما يقول الشاعر السوري عمر أبو ريشة:

لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم.
والعراق تستبد به حكومة المالكي، الحكومة الطائفية منذ أكثر من ثماني سنوات، الأمر الذي حدا بجماعة إرهابية تساندها العشائر في الأنبار وسواها إلى اقتحام الموصل، تلك المدينة التي تعد ثاني أهم المدن بعد بغداد، والتي يبلغ تعداد سكان محافظتها نحو مليوني شخص، علاوة على مؤسسات الدولة هناك، كالبنك المركزي والمطار وغيرها، تم احتلالها من شرذمة تسمى «داعش»

ومدينة كركوك ذات المكون السني التي دخلتها قوات البشمركة وأضحت جزءاً من إقليم كردستان، وهي في أديباتهم العاصمة التاريخية للأكراد، والزعيم الكردي مسعود برزاني بدأ يلوح بالاستقلال عن الحكومة المركزية في بغداد.

ولندع العراق ونذهب لليمن التي تتناوشها المجموعات الإرهابية من عناصر القاعدة والحوثيين في مشهد يكاد يذهب

بمخرجات الحوار الوطني في مهبط الريح، كيف لا، والعناصر المتشددة باتت على مرمى حجر من العاصمة صنعاء، وتسعى لابتلاع الدولة.

وهذا السودان غدا سودانيين، ذو وضع اقتصادي هش، وحكومة لا تؤمن بالتغيير والإصلاح. وسورية التي بدا واضحا أن الحرب فيها قد تطول، وليس هناك مخرج قريب يلوح في الأفق، ذلك ما صرح به المبعوث الأممي المستقيل الأخضر الإبراهيمي، تصريح كان يستبطن لغة تستبعد حلاً في المدى المنظور.

والحديث عن ليبيا ليس بأحسن حال عن شقيقاتها، فالمتشددون سيطروا على كل مفاصل الدولة، وأصبحوا يهددون دول الجوار وليس وطنهم فحسب، وطنهم الذي أحالوه إلى خراب وجحيم، أولئك القادمون من كهوف تورا وبورا ومن جبال قندهار. حتى مصر كادت أن تعصف بها هذه العناصر العمياء لولا تدخل العقلاء وعلى رأسهم الراحل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، باعتراف أبناء الكنانة أنفسهم، بالدور التاريخي الذي لعبه إبان ثورة 30 يونيو، حيث وصفه الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي بأنه كبير العرب.

ولا يتسع الحديث هنا عن لبنان والتجاذبات التي تعصف بها، والفرغ الرئاسي، وتصدير الحرب لها عبر النظام السوري، هذا الأخير الذي أصبح يتاجر بالآلام شعبه، ويهدد بها دول الجوار. هل بقي مجال في وطننا العربي للحلم باتحاد يماثل الاتحاد

الأوروبي؛ أيّ اتحاد، سواء أكان اقتصاديا أم ثقافيا أم حتى إعلاميا.

ما يظهر للعيان أن الآمال تتضاءل، وتتباعد شيئا فشيئا، ولا عزاء للحالمين بوطن عربي واحد من الملح للملح.

إن عاصفة الحزم ستشكل منعطفًا حاسمًا في تاريخ اليمن الحديث، وستكون العنوان العريض للتحوّلات التي ستشهدّها المنطقة في القادم من الأيام.

وما نود أن يعرفه الجميع أن هذا الغطاء العربي والدولي لهذه الحرب التي تخوضها المملكة لا يعني أن جنودنا البواسل في الجو والبر والبحر غير قادرين على سحق هذه المليشيا الحوثية. كلاً، وإنما رسالة واضحة لا لبس فيها لإيران وزبانياتها؛ أن كفى، وأن زمن الصمت على تدخلها السافر، وتمدّدها السرطاني في المنطقة قد ولى إلى غير رجعة.

والمتابع الحصيف لردود الأفعال على هذه الحرب التي جاءت تلبية لنداء استغاثة من الشعب اليمني بقيادة رئاسته المنتخبة والشرعية، يجد أن أغلب الدول وشعوبها قد وقفت موقف المؤيد لهذه الحرب النظيفة، ذات الغايات السامية، باستثناء إيران وحزب الله، ما يدل دلالة واضحة على تورطهما في اليمن، وارتباط جماعة أنصار الله معهما في تنفيذ أجندة خفية ترمي إلى النيل من المملكة، وتحديدًا من حدودها الجنوبية، ليشكلا بذلك الفعل الخسيس، وهيهات لهم، شوكة في خاصرة الوطن.

غير أن يقظة السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك
سلمان ابن عبد العزيز، ومن خلفه جميع فئات الوطن بمختلف
شرائحه سوف يقفون سداً وحاجزاً لكل من تسول له نفسه
إلحاق الأذى بوطننا، وبترا به الأعلى من كل ما سواه.

الخطاب النهضوي لم يغب عن تاريخنا الثقافي، إذ كانت هناك إشراقات لا يمكن لمتابع أن يغفلها؛ فمحاضرة حمزة شحاتة «الرجولة عماد الخلق الفاضل» بمقرّ جمعية الإسعاف الخيرية بمكة كانت عام 1940، وكتاب التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية لعبد الله عبد الجبار طبع عام 1959 في القاهرة، وكتاب الرائد محمد حسن عواد (خواطر مصرحة) كان في عام 1926 ذلك العمل الذي ألقى حجراً في البحيرات الراكدة آنذاك.

وفي عام 1963 أصدرت ثريا قابل في بيروت أول ديوان شعري نسائي في الأدب المحلي، وتم منعه من دخول المملكة، ومن إعادة طباعته، لولا تدخل الملك فيصل آنذاك الذي أمر بدخوله وطباعته مرة أخرى.

والشاعر ناصر أبو حيمد الذي كان من أوائل الشعراء الذين كتبوا قصيدة النثر في مشهدها الثقافي المحلي، أصدر ديوانه (قلق) عام 1960، ومحمد الرميح الشاعر الرمزي كما قدمته دار الأديب اللبنانية في ديوانه «جدران الصمت» الصادر عنها 1974.

هذه بعض نماذج ورموز ثقافية قالت كلمتها، فواجهها البعض

بما يسمى الخروج على التقاليد والأعراف، ولا يزال المسلسل
مستمراً إلى يومنا هذا، وليس حادثة اعتراض أحد المحتسبين
على شاعرة عربية في سوق عكاظ ببعيدة عن الذاكرة.

كان طريق التنوير ممهداً للأجيال اللاحقة لولا بعض
الانكسارات في تاريخنا الثقافي الجميل، انكسارات لا تزال
تتكدّ نتائجها إلى يومنا هذا.

لولا الإعارة ما قرأنا حرفا من الكتب التنويرية والطليلية في بداية حياتنا.

الثقافة، همّ جمعي وليس للأناية مكان في قاموسها. والذي يرفض مبدأ إعارة الكتب الآن، أجزم أنه تربّى فكريا وثقافيا في سنّي حياته الأولى على هذا المبدأ التكافلي.

وكيف يمنع المثقف كتابا وهو يسعى لنشر الوعي والمعرفة؟ نعم، هناك من يستعير ولا يعيد. لا بأس، لتكن إحدى الضرائب التي يدفعها المثقف، مقابل التنوير، طوعا أو كرها في حياته.

6

نقرأ كثيراً في كتب التراث:
فضحك الخليفة وأمر له بجائزة.
وكأنَّ غاية الأدب الإضحاك، وغاية الشاعر المال!!

بفضول، سألت عامل النظافة في الفندق (شاب لم يتجاوز عمره ثمان عشرة سنة): هل لديك صفحة على الفيس بوك.

فأجاب وهو منهمك في غسل أرضية الحمام:

أنا معنديش تلفون يا بيه أصلا عشان يكون معاي صفحة ع الفيس.

طأطأت رأسي، ولذتُ بالصمت.

هل أصبح المثقف المبدع يمر بحالة من التسول لا تليق بدوره القيم والمهم في المجتمع؟

بكل أسف، بات لدينا كتاب ومبدعون كبار، بلغوا مرحلة بدت مهينة حينما احتاجوا للرعاية الصحية والحياتية. ونحن ولله الحمد نعيش في بلد غني، ونستطيع أن نخصص صندوقاً يقوم برعاية المثقف ويلبي احتياجاته.

نعرف قصصاً كان فيها المثقف يتسول العلاج ويستجدي طعام عياله ودفع إيجار مسكنه، وليس ببعيدة عنا مأساة الشاعر الراحل محمد الشبتي إبان فترة مرضه، وحاجته الماسة للمال بغية تأمين احتياجاته الأساسية.

وهناك نماذج كثيرة عاشت وتعيش وضعاً قريباً من صاحب التضاريس لا نستطيع ذكرها.

ومن هنا نناشد وزارة الثقافة والإعلام أن تقوم بدورها في حماية وتأمين حاجات المثقف والمبدع في المملكة العربية السعودية، كونه يساهم في كل ما فيه رفعه في هذا الوطن، ذلك أن من الصعب أن تقف الوزارة مكتوفة الأيدي إزاء هذه المشاهد التي لا تليق بأي حال، وتحت أي ظرف من الظروف.

الكلمة الأقرب للفلسفة في نصوصنا الدينية هي الحكمة، التي وردت في كثير من الآيات القرآنية مقرونة بالكتاب كما يقول بعض المفسرين، غير أن البعض لا يرى في هذا التفسير إلا خروجاً على الملة.

ونتيجة لهذا التصوّر، لم يوجد لدينا مشروع فلسفي حقيقي في السعودية، لا على مستوى الأفراد، ولا على صعيد مؤسسات التعليم المتخصصة.

نعم، هناك كتاب يطرحون نظريات فلسفية بين الحين والآخر. هذا الغياب في تقديري، مردّه التوجّس من التيار المتشدّد الذي يصم كل جديد بالكفر والليبرالية وما سواها من التهم الجاهزة التي لا تستند إلى حوار عميق وحضاري.

هذا التيار تنفّذ في كثير من مفاصل مؤسساتنا التربوية،

وظلّ متخلفاً عن الركب المعرفي، سواء الثقافي منه أو العلمي فكيف بالفلسفة التي يعاديه بنوياً ويرى فيها خروجاً على تعاليم الإسلام.

مع إنّ ديننا الحنيف في وجهه الحضاري والتنويري قدّم نماذج فلسفية مضيئة حينما نشأ علم الكلام على يد المعتزلة، وظهر جماعة إخوان الصفا، وغيرهم الكثير، أمثال ابن رشد والفارابي وابن سينا، وسواهم ممن احتفى الغرب بمشاريعهم الطليعية أكثر منا.

والغريب، أن هناك من يرى في هؤلاء الأعلام، ومدارسهم الفكرية التي نشأت خلال القرون الإسلامية الأولى، زندقة وخروجاً عن الملة. فيما يعلم الكثير أن أغلب المدارس الفنية والأدبية، كالرومنسية والرمزية والسريالية، التي نحتفي بها في مناهجنا، لم تكن إبداعية فحسب، كانت لها حمولاتها الفلسفية والفكرية.

وبالتالي إن لم تبادر مؤسساتنا التربوية والتعليمية، أقله على مستوى التعليم العالي، بمواكبة العصر ومتغيراته فإن التاريخ سيلقي بأجيالنا القادمة خارج نافذة قطاره السريع.

اسألوا عن مرتباتهم، وعمرهم الوظيفي، وانظروا ما يملكون
من مؤسسات تجارية، وعمائر للإيجار، واستراحات، ومزارع.
الأمر ليس بحاجة لذكاء أو (فهلوّة) لكي نفهم.

يعرف البعض عن الأهرامات، ومناطق الجذب السياحي في شرق آسيا، ولا يعرف أين مدائن صالح، وربما لم يُزر الأخدود. من المسؤول؟ سؤال يتمدد بحجم الوطن.

اختلاف المناهج في بعض مؤسساتنا التعليمية، أدى بالضرورة لرؤى وتصورات تصل حدّ التناقض، تناقض تحمّل وزره الكثير من أبنائنا، وكان هناك نموذجان من الطلبة بنظرتين للمستقبل تختلف إحداهما عن الأخرى.

الطلاب الذين كانوا أصدقاءنا وإخواننا في مؤسسات التعليم العام كانوا لا يشبهوننا، في فرحهم وفي ألعابهم، ولا حتى في أناشيدهم التي يردّدونها، نحن أبناء المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في تلك الفترة الحساسة والدقيقة من تاريخنا التربوي في حقل التعليم، أتحدث عن مرحلة بداية الثمانينيات الميلادية وما تلاها من القرن الفائت.

مرحلة كانت تضخّ في عقولنا، وتكرّس في ذاكرتنا كل الفكر الجهادي والصحوي بحمولاتهما الإيديولوجية، وهو مدّ حركي تناسل مع الأجيال المتلاحقة، وأعاد فيما بعد إنتاج نفسه وفكره في صور شتى.

مرحلة، حاصرت فينا التفكير والاجتهاد وحتى الإبداع داخل أسوار المدرسة.

نعم فشلت ، ومعني جيل كامل، جيل كان يريد أن يؤسس لمجتمع يؤمن بالحوار، مجتمع لا يرى الآخر عدوًا لمجرد اختلاف الرأي.

آنذاك كان التفكير خارج الصندوق يعتبر ضربًا من المغامرة التي لا يمكن معرفة عواقبها؛ عواقب قد تمسك حتى في أكثر أشياءك حميمة وألفة.

المضحك والمبكي في آن واحد، أن بعضهم آنذاك كان يرى مجرد كتابة قصيدة على نمط التفعيلة، خروجًا على الثوابت ونواميس الكون.

وظهر ما سمّي بالشعر والأدب الإسلامي ضمن رؤية ضيقة وأفق محدود، وهم بذلك كأنما يروجون لأدب مسيحي وأدب يهودي وهلمّ جرّاء،

بالمقابل فإن تلك الحقبة من التجاذب والاستقطاب أسست جيلًا كان يهتم بالتأسيس النظري، جيلًا تعلّم أن يقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل، وتعلّم أن في تراثنا صورًا شتى مضيفة، وأقوالاً وليس قولاً يتيماً، ورؤى وليست رؤيا واحدة، تعدّد خلاّق وغنيّ، هو معادل رمزي لغنى وعظمة ديننا الإسلامي الذي أراد بعضهم أن يعتقله في زاوية صغيرة، زاوية كانوا يعيشون فيها وحدهم.

غير أنني كنت أخرج من ذلك كلّ، وأذهب لقراءة الروايات العالمية، ديستوفسكي وتشيفوف ووليم فوكنر، وأقرأ لكثير

من المفكرين العرب أمثال محمد أركون والجابري وعبدالله العروي، وشعراء كسعدي ودرويش، وكانت الساحة الثقافية صاحبة بجدل نقدي زاهٍ. تابعتُ بنهم المجالات الثقافية، والملاحق الأسبوعية، كملحق الأربعاء وملحق صحيفة الندوة وملحق أصداء الكلمة في عكاظ، وملحق اليوم، وملحق صحيفة الرياض، وغيرها.

وأيقنت أن في تراثنا العربي والإسلامي فكرًا نيرًا يؤمن بالاختلاف، وغدتُ مقولة محمد بن إدريس الشافعي: رأيكم خطأً يحتمل الصواب، ورأيي صواب يحتمل الخطأ. غدت مقولة مثل هذه وسواها شعارًا وأيقونة في مرحلة من مراحل حياتي.

أعتقد أن مساءلة فكرية ونقدية لتلك المرحلة من تاريخنا المعاصر باتت ضرورة ملحة لمعرفة أين كنا، وماذا أصبحنا.

ويقينا، أن للتاريخ دروس وعبر، والجروح يطهرها الكي.

في اعتقادي أن الغالبية من شباب هذه المرحلة، وهم يعيشون هذا الانفتاح الفكري والثقافي لا يعلمون كثيرًا عن ظروف وسياقات تلك الحقبة، والتي إلى حدٍّ كبير، تجاوزناها جميعًا في عهد خادم الحرمين الشريفين.

13

كان في ديننا المتسامح والمتعايش مع المختلف؛ المذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، والفكر الشيعي. من أودى بنا إلى هذا النكوص في رفض الآخر؟

14

الدولة تنفق المليارات للنهوض بالعملية التعليمية التي يعدّ الطالب فيها حجر الزاوية. وهناك مدارس تحتضن أكثر من 400 طالب، ولا توجد قطعة صابون في دورات المياه.

15

ما معنى أن يتحوّل أغلب مبدعي السعودية؛ من شعراء، وروائيين، ونقاد، إلى كتّاب مقالات في الشأن الاجتماعي، عن البلديات والصحة والتعليم وغيرها.

المواطن هو الرهان الحقيقي لكلّ بلد، فإذا انهار وتماهى
وتضاءلت آدميته، عند ذلك تغدو كلّ طاقة، رخيصة، مقابل
الإنسان والمواطن.

على قيد الحياة.
طفولة طاعنة في السن..

مباغتٌ بالغياب، كأنما فقد قد عَقَدَ حالفاً عائلياً معي.

أبي، كان أول سطر في ذلك السرد الجنائزي. أبي، الذي لم
تزل الكتابة ساجدة تحت عرشه رغم الغياب.

كانت الساعة الآثمة، حين دَقَّ الغزاة على الدار، وانتزعوا وردة
من حدائق عينيه، قَبَّلَتْها، ثم سَوَّيَتْها وطنا في القصائد، أهزوجة
في شفاه البنات، وأوّل تلويحة بالطريق.

قال لي: سوف أرجع في صحوكم، حين أضغات أحلامكم...

صبيّاً كنتُ، إذ حملوه، والكافور يسبق خطوهم. هتفتُ بهم،
وسيف رجولتي الأولى يضيءُ بريقه جسدي: لمنْ يتحدث
الأطفال؟ أشجار المحبّة هل ستزهر في صدور الناس؟ كيف
يجيء فجره حاسرا، من ذا يكلله؟ أجب يا صمتهم، يا موتهم؟.

تلا ذلك غياب أُمّي، التي شَيَّعَتْها النهارات في فرح موسمي. لم
تزل حتى اللحظة، وهي تطلّ عليّ من الغيب؛ سمرتها القروية،
نقشة حنائها، والثياب الخجولة. أكتب: أُمّي.. يتفتّح زهر الطفولة
في الصفحة الورقية.

هو الحزن يقطف غصن الطمأنينة الغصّ.

كاد الصبح يخبئ طلعتة، عندما أبصر الموت في مدخل الحيّ،
يزحف، يزحف. قالت لنا والجلال يسير إلى قبة الضوء، مغتسلا
بالبياض: هو الموت لا ريب فيه.

أعزلا، غدوت، لا جدار يسند ظهري، ويخلصني من مكر العالم،
وحيدا في البرية وضراوة الهجير.

ثم اختطف يد المنون جدتي، الفضاء النابض بالحكايات ؛
كانت في سنواتي الأولى تسرد لي عن نساء يسرّحن شعورهنّ
قرب سنابل الذرة، ويسدلنها في الخفاء سلالم للعاشقين، تسرد
عن رجال، تزيّن خواصرهم بالسيوف والطلقات. تحدّثني عن
جنّيات، وطيور خضراء تتوشّح بالأمل، تحكي لي حتى أهبط
في نعناع النعاس، النعاس الذي يأخذني إلى أحلام لا تقلّ لذة
وغرابة عما روّته جدتي.

العام الماضي، سقطت آخر ورقة ذات بهاء باذخ من شجرة
العائلة؛ خالتي: شقيقة أُمي، كانت لنا أُمّا ثانية، منذ طفولتنا أنا
وبقية أخوتي، آخر ساردة لهواء الأسلاف، وللقصص الممهورة
باللوعة.

خالتي؛ فاطمة ناصر، تلك التي تتحدث عن الآلام وكأنما تضيء
مصاييح في شوارع قلبي، مصاييح تحرّض الكتابة على اجتراح
فتنتها.

تلك السيدة الجميلة، الطيبة القلب، كالفرائض والندور. عقب غيابها، كنتُ كمن يسقط في هاوية لا قعر لها، وحيداً أمام الخرائب ومرارة الموت.

حينئذ، شرعتُ في الكتابة عنهم، كي لا يستهدفهم النسيان، ثم ينظر، مادّاً لسانه في سخرية من خلف قضبان الليل، شرعتُ بالكتابة، حتى لا يطمسهم المحو، ويسحبهم كجثة بأظافره.

أجل، ذهبوا كما تذهب الأمانى، بيد أنهم الآن، يتزّهون في سهوب الكتابة، وفي أعالي السماوات.

استحالوا نصوصاً مغمورة بالنشيج، وقصائد مقفأة بالعويل والدمع.

أعرف أن الموت قد انتصر عليّ في سجلاته المتكررة، ولا سلاح أشهره في وجهه المتجهّم غير سيف الكتابة.

لن نقف مكتوفي الأيدي، منكّسي الرؤوس قبالة سنبلة تحتضر، أو وردة تسقط من غير سابق إنذار. فلنكتب شيئاً ما، شيئاً يشبه النشيد الغامض للأشجار قبل سقوطها أمام أقدام الحطّابين، ولننقل عدوى الكتابة للفتيان، للضواحي المهجورة، وللقرى التي لا تُرى أبداً في الخرائط. حسبنا أن الكتابة، طعنة رحيمة في خاصرة الوجع.

فسحة من الكلمات وقليل من الضوء النبيل، ذلك ما يدّخره الشاعر في مواجهة العالم.

نعم، بمحض إرادته قد يختار الشاعر طريقة موته، الطريقة التي تتناسب وغربته الوجودية.

إن لم يستطع اختيار ولادته، فليخترْ حتفه بيديه، لتكن نهايته كما يشاء، لا كما تشاء له الصدف. ذلك فعل شعري بامتياز، موقف من العالم الذي يناصبه العداء والسخرية.

ولا عجب أن يكون الشعراء أكثر المتحرّين عن سواهم من المبدعين، فمثلاً لا حصراً؛ خليل حاوي عربياً. وعالمياً: سيلفيا بلاث، وآن سكستون، وصاحب «غيمة في بنطلون» الروسي ماياكوفسكي.

حالة الانتحار إذن، لا تبعد كثيراً عن كتابة نصّ مختلف، نصّ مفارق للسائد والمألوف، كلاهما فعل يجترح العادي، ويلقي حجراً في نهر الواقع، واقع موسوم بالركود والسكون.

وحتماً، ستكون القصائد من أوائل المشييعين، ووحدها من ستجمر على نعشه دون أن تستأذن الآخرين.

ليس ثمّة شكل يرتقب بعد قصيدة النثر، ذلك أن داخل هذا النمط، أنماط مختلفة في إطار واحد، وبالتالي فتخلّقات الشعر الجديد لن تخرج عن هذا النموذج غالباً، أقلّه في المستقبل القريب، على الرغم من إفادة هذا النوع من كل التجليات الإبداعية والأدبية من سينما ومسرح وسرد.

وبالتالي فإنّ تداخل الأجناس معادل رمزي للتداخل الحياتي، وظلّ من ظلال العولمة التي تقتحمنا حيثما كنا.

والشعر، دون ريب، في صدارة المتأثرين بتحويلات العصر، ولو لم يكن كائناً حياً يقبل التأثير والتأثير لما كانت له هذه الديمومة عبر العصور.

كنت واحدا من الذين حضروا مناقشة رسالة الناقد سعيد السريحي. كانت ليلة من ليالي رمضان المبارك، في جامعة أم القرى، المكان الذي لا يبعد عن بيت الله الحرام سوى كيلومترات عدّة. أجواء نالت شرف الزمان والمكان، وكان حريّا أن ينأى الإنسان عن كل ضغينة، ويطرح عن نفسه الحقد وسوء النية.

التقيت السريحي قبلها بليال عدّة في الحرم الجامعي وأخبرني أن موعد مناقشته حدد، ذهبت وثلة من محبيه، حيث كان اسمه مطروحا بقوة آنذاك، وحضوره الثقافي لا يتغافل عنه إلا جاهل أو مكابر.

المناقشون الثلاثة هم: مصطفى عبد الواحد، ومحمد مصطفى هدارة، وحسن باجودة مشرفا. كان صاحب «الكتابة خارج الأقواس» سيد المنبر بامتياز. تمكن بخلفيته العميقة في التراث والحداثة أن يدهش محاوريه، وظل الجمهور ينصت لحديثه الباذخ الفتنة بإعجاب. استطاع أن يجيب عن أسئلتهم التي سعت، دون أن يرفّ لها جفن، في نصب شراك الوقعة بالطالب وبالرسالة، كما لاحظ ذلك الكثير من الحضور.

أذكر من ذلك أن واحدا من مناقشيه قال له: كيف تستعين بالناقدة سيزا قاسم في مصادرك وهي مسيحية ونحن في مكة المكرمة، فما كان من السريحي إلا أن رد عليه بكل ثقة واعتزاز: أنا مسلم في مكة ومسلم في نيويورك. ما أذهل بفطنته وسرعة بديهته كل من في القاعة ليلتذاك،

وللأمانة فإن أحدا لم يصفق تلك الساعة، لا لشيء إلا لأن التصفيق كان ممنوعا في أروقة الجامعة. ولك أن تتصور أي مناخ مفخخ بالغمز واللمز والإقصاء كان يسود هذه المناقشة. في نهاية الأمر وعلى مرأى ومسمع مُنح السريحي الدرجة بتقدير عال، غير أن ما حدث عقب ذلك من سحب للدكتوراه كان ضربا تحت الحزام، وبعيدا عن كل الأعراف العلمية والمهنية. تخلت الجامعة بهذه السابقة عن دورها التنويري لصالح فئة وتيار متشدد.

كل ما سبق كان مشهدا من بانوراما كبيرة ومنظومة امتدت حتى نادي مكة الأدبي، النادي الذي لم يستضف شاعرا يسكن غير بعيد منه اسمه محمد الثبتي، ليس هذا فحسب، بل لم توجه له حتى دعوة لحضور فعالياته، كواحد من عشرات الناس المهممين بالشأن الثقافي والأدبي. أزعم أن هكذا مراجعة ومساءلة فكرية لفترة دقيقة من تاريخنا الثقافي فيها عبرة ودروس للأجيال القادمة، وحتى لا تتناسل هذه الجماعات الراديكالية، وتعيد إنتاج أديباتها، ورؤاها المتطرفة مرة أخرى.

خالد خريزي صديقي الأعزّ، أخي الذي لم تلده أُمّي. تمتدّ العلاقة معه قرابة ثلاثين عاما، علاقة أُسرِيّة أيضا. عاشرته في أكثر أيامه تشدّدا، لم نفترق وهو في أقصى اليمين، أو في أقصى اليسار. يتحدّث عن تاريخ الحركات الإسلامية فأصغي له بدهشة، وحينما يأخذنا الحديث عن السينما العالمية دائما ما يضيف لي جديدا.

آخر ما أهداني من أفلام: 12 عاما من العبودية، وكائن لا تحتمل خفّته، عمل كونديرا العظيم، والإغواء الأخير للمسيح، والصورة المفقودة، الفلم الذي يحكي السنوات الدامية في كمبوديا زمن الخمير الحمر.

عندما نتطرّق لمواضيع ثقافية أو أدبية يبدي تواضعا، غير أنه دائما ما يفاجئني بروايات عالمية وكتب فلسفية غاية في الأهمية. نعم، هو من أعارني أول مرة الرواية الاستثنائية «اسمي أحمر» لأورهان باموق، بعد قراءتي لعدد من أعماله منها «القلعة البيضاء» بيد أن «اسمي أحمر» كانت حدثا قرائيا من نوع خاص، وشيئا مفارقا.

وعقب قراءتي لكازنتزاكي رواية زوربا، والمسيح يصلب من

جديد، وحديقة الصخور، أهداني روايته العظيمة «تقرير إلى غريكو»

تجد في مكتبته نيتشه، جورج طرابيشي، الشخصية المحمدية للرصافي، وكثيرا من الدواوين لأهم شعراء الحداثة، جنيا إلى جنب مع القرآن الكريم، وكتب العقيدة.

خالد، لا يصنّف نفسه مثقفا، إلاّ أنه يقرأ ما لا يقرأه كثير من المدّعين، الذين ينظّرون، وهم لا يعرفون من الكتب إلا أسماء مؤلفيها.

سافرت معه إلى مصر، ودمشق، وبيروت، وصنعاء، وعدن، وماليزيا، وأندونيسيا. كان جميلا في سفره وإقامته، في حلّه وترحاله. كم استمعنا إلى أم كلثوم سويا، وفيروز، وقصائد ريتا لدرويش في ناصفة الليالي.

هل قلت شيئا عنك يا خالد؟ لا، لم أقل شيئا.

لك العتبي حتى ترضى.

محمد جعفري من الأسماء القليلة في المنطقة التي عشقت المسرح باكراً. كنت أزوره في منزله، ونحن في المرحلة المتوسطة، بداية الثمانينات من القرن الماضي، كان يقيم مسرحاً من إحدى غرف البيت، ويصنع لها ستارة، ويدعو أترابه، وأصدقاءه من أبناء الحارة ليمثلوا معه.

محمد، كان أحد نحوم المسرح المدرسي خلال المرحلة الابتدائية، بالمدرسة الفيصلية في ضمد، عندما كان النشاط المدرسي والمسرح، في أزهى مراحلها.

كانت تقام الحفلات الختامية آنذاك بمصاحبة العود، ويشارك بها فنانون أمثال صالح خيري، وطلال جبلي، ثم انتكست الأوضاع عقب ذلك لأسباب لم يعد يجهلها أحد.

محمد، كان يقوم بتأليف الأعمال، ويخرج، ويمثل، ثم تطوّر هذا الهوس بالمسرح إلى الجامعة، فكان يصنع من غرفته في السكن الجامعي مسرحاً، ويستضيف جيرانه، في الغرف الأخرى، ليشاركوه هذا العشق.

تمّ تعيينه مؤخراً أحد مشرفي إدارة التربية والتعليم في النشاط

الثقافي، وقام بإخراج مسرحية شاركت مؤخراً في الرياض، ممثلة لمنطقة صيبا التعليمية.

ما أرجوه أن تُعطى فرصة أكبر لهذا الرائد، ليفيد الأجيال القادمة من خبرته وإبداعه.

* * *

وفي هذه الأيام يخوض صديقي محمد حرباً لا هوادة فيها، مع داء شرس وخبيث، داء، لا يملك في مواجهته غير إيمانه وأمله بالله، أمله الذي انتصر به في أول مواجهة له مع هذا المرض، حيث أجريت له عملية في مستشفى الملك فيصل التخصصي استمرت زهاء سبع ساعات، وفي اليوم التالي أفاق بابتسامة ندية في وجوه مرافقيه، وقام بالاتصال على بعض أصدقائه ليطمئنهم على صحته.

لله ما أجملك يا صديقي، حتى في هذه الساعات الحرجة تعلّم محبيك معنى الشجاعة والصبر، أية قوة تملكها غير ثقتك بالله، وإرادتك التي لم أكن أتصور أن لها كل هذا البهاء، البهاء الذي ينشر ضياؤه على الغرباء قبل ذوي القربى والأصدقاء.

أنت علمتنا، وتعلّمنا، أن الحياة لا تفرّط في محبيها، وأنت واحد من عشاقها الكبار.

الكثيرون من مريدك، وأنا أولهم، لقّنتهم، كلماتك الحسنى؛ أن من أحب الحياة، حتماً، ستبادلها الحياة حبا بحب وشوقاً بشوق وجمالاً بجمال أزهى.

سلام عليك يا حبيبي وسندي.

فلنرفع أكفنا للسماء، ولنلهج بصوت واحد: يا الله اشف محمدا،
واكتب له الشفاء عاجلا غير آجل. يا الله يا الله.

بات الحديث عن معركة بين القديم والجديد في زمن الانفجار المعلوماتي ضرب من العبث. وما شهادته ساحتنا الثقافية من صراعات منتصف الثمانينات وما تلاها من القرن المنصرم، من قبل تيار متشدد اتخذ من عناوين الخيانة والعمالة شعارا لكثير من طروحاته، ووصم كل جديد ومتمدن بالكفر والزندقة. أجل، ذلك كان نزالا لم يكن نبیلا، ولم یسع للحقیقة، وینشد الصواب، كل ما كان یرمی إلیه هو إسقاط الآخر، وإقصاء كل صوت لیس صدی لصوته. والذي یقرأ المشهد جیدا یدرك أن ذلك التشدد، كانت غایتة، محاربة الأصوات الجديدة، وكل آخر مختلف عنه لغة ورؤیا. ذلك التطرف، من قبل بعضهم، بلغ تخوما جد خطيرة، حیث وصل إلى محاربة أبناء الوطن، وتدمير مدخرات الدولة، كان إرهابا فكريا إن صحّت التسمية، فی تلك المرحلة التاريخية من مشهدها الثقافي أواسط الثمانينات، غیر أن ذلك زمن ولّى إلى غیر رجعة. وأشرق سلاله من الأصوات النديّة، تكتب بلغة طازجة، لغة تغمس أصابعها فی ماء الحیاة، وإن كان نائیا فی قعر الیم، غیر مكرثة بشيء سوى صوت الذات، بصفتها مركز العالم. وحضرت قصيدة النثر كواحدة

من تجليات المرحلة، تلك القصيدة التي تقدّمت للمتن، فيما تراجعت نصوص التفعيلة والعمودية إلى الهامش، في مفارقة لا تشبه إلا لغتها وشعريتها، أعني قصيدة النشر.

أما أن لنا أن نفطن أن عجلة التاريخ لا تسير إلا للأمام، وأنا لا يمكن لنا أن نعيش في جزر معزولة، بعيدا عن صخب العالم، وموسيقاه الهادرة في زوايا غرفنا. إذا كانت اللحظة الأدبية خلال العقدين الأخيرين تسعى إلى تداخل الأجناس في نص واحد، نص يمزج بين المسرح والسينما والرواية والشعر، بينما لا يزال منا من ينظر بعين المريب لكل نص خارج عن السائد والأعراف الأدبية، لا لشيء إلا لأنه لم يسر في ركاب الخليل.

هؤلاء بكلّ أسف يعتقدون أنهم يتتصرون للغة، فيما هم يضربون تراثنا العربي في مقتل، تراثنا المتنوع والغني في كلّ نماذجه وفنونه المعرفية.

على هؤلاء أن يتعلموا التحرر من عدوانيتهم، أكثر من عدوانيتهم للقصيدة، القصيدة التي لم تعد قولاً عالي النبرة، ولا برنامجاً إذاعياً على نحو «ما يطلبه المستمعون» القصيدة هي السلاح المثالي لمقاومة العزلة والطغيان.

اشتقت لعدن؛ للشيخ عثمان، وكريتر، اشتقت لفندق الصخرة، وكريست في حيّ التواهي العريق؛ هذان الفندقان سكنتهما بداية تعرّفي على عدن في عام 2000 م، يومذاك مررت من قاعدة العند، وتذكّرت تاريخاً غابراً، ووقفت قبالة المكان الذي شهد أحداث يناير عام 86 م

عدن تملك كلّ المقومات لأن تكون مدينة كوزموبوليتية، ولا يليق بها أن تكون ساحة للقبوريين والظلاميين.
للأسف لا نعلم ما مصير خطى رامبو العدني في ظلّ القصف المدفعي الذي شنه الحوثيون دون هوادة على كريتر والمعلا، وبقيّة أحياء المدينة.

عندما أتحدث مع طلابي أن جيلاً سابقاً كان يرى التصفيق حراماً، وأن الاحتفال باليوم الوطني بدعة، وأنه كان يمرّ كباقي الأيام، ولا يعرفه إلا معلمو اللغة العربية كموضوع يحضر على استحياء في مادة التعبير، يضحكون كثيراً، يفعلون ذلك وعيونهم على هواتفهم الذكيّة.

10

في حصة لغتي الخالدة سألت أحد الطلاب: هل قرأت الدرس؟

فرد قائلاً: يب يب!!

الشعراء الذين يتحسّسون من النقد، لا يثقون في تجاربهم،
واعتادوا على كلمات مثل: أنت عظيم ومبدع، وغيرها من
مفردات، ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب.

أول كتاب اشتريته كان لأنيس منصور يحمل عنوان «قالوا» وهو مقولات فلسفية تحمل طابع الشذرات. كان ذلك في الأول متوسط، ولا تزال بعض مقولاته راسخة في ذهني. منها: «إن لم تخذلني الذاكرة طبعاً» استغرب وضع الأسوار على المقابر؛ الذين بداخلها لا يستطيعون الخروج، والذين هم خارجها لا يريدون الدخول.

وقوله: الحب كالزكام لا يمكن لك أن تخفيه. كان الكتاب يحمل غلافا احمرأ فيما أعتقد، وتعتلي عنوان الكتاب «قالوا» صورة امرأة. ومن المفارقات أنني اشتريت الكتاب من مكتبة في مكة، جوار الحرم حيث كنت صحبة العائلة لأداء العمرة.

مما أتذكره أنني كنت لا أحسن كتابة سن الضاد، وأحررها درداء. تأكدتُ أن للتعليم دورًا رئيسًا في ذلك. وإذا كان التعليم في الصغر كالنقش على الحجر كما نردد دائمًا، فإن للعبارة وجهًا آخر ينبغي قراءته؛ فما نوعية التعليم الذي كنا نتلقاه، وعلى يد من؟

إذا كان ما تلقيناه مدججًا بالأخطاء وسوء الفهم، وتمّ تلقّيه كذلك ممن ليسوا مؤهلين، فإنه بالضرورة سينتج آفة كبيرة ومرضًا مزمنًا اسمه الجهل. هذا ما نسميه بالأمية الثقافية، زدّ على ذلك زهاء مئة مليون عربي لا يعرفون القراءة والكتابة، بما يعادل ثلث الوطن العربي من المحيط إلى الخليج.

في المعهد العلمي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود، قضيت مرحلة المتوسطة والثانوية، لم أكن ابنًا بارًّا لكثير من الحشو المنهجي الذي كان لا يؤمن سوى برؤية واحدة وقول واحد، في الوقت الذي كنا نقرأ في شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، آراء النحاة من كوفيين وبصريين.

نعم، لم أقدر أن أطرح رأيي أمام معلمي وأصدقائي في تلك

الفترة، ذلك أن قولاً مخالفاً لما هو سائد آنذاك يعرضك لتهم شنيعة، ودسّ خفيّ في سلوكك وأخلاقك.

هذا الإحباط في طرح رأي مختلف عما هو سائد، أدّى لانكسار آخر هو عدم ظهوري في النشاطات الثقافية والمسرحية، وحرمانني من قول خربشاتي وكتاباتي الأولى ضمن النشاطات المنبرية في المدرسة آنذاك.

استذكار الهزيمة له طعم حامض في الفم، وشحوب في الوجه واليد واللسان، وغالباً ما يكون رافعة جيّدة للصعود لآفاق النجاح، وذلك ما حدث بعد شهور قليلة عقب تخرّجي من المعهد العلمي، إذ شاركت ممثلاً للمملكة شعرياً في مهرجانين أحدهما خليجي والآخر عربي.

كانت المرحلة ضبابية وملتبسة، ولم يكن لأحد آنذاك أن يكون له صوت خارج السرب داخل قاعات الدرس.

الذكریات

سرد عاطفی فی نرہۃ صید..

1

ما أن تطرق مسامعي الذكرى السنوية لهجمات 11 سبتمبر إلا وأقول: كان الوحش يذهب إليهم، وفي ذلك النهار، هم ذهبوا للوحش في عقر داره.

يومئذ ذقت أمريكا ما أذاقته لشعوب العالم الثالث، وهو اليوم الذي كثر فيه التنين عن أنيابه.

السؤال الجارح: كم سبتمبر مرّ على الأمة منذ ذلك التاريخ إلى اليوم؟

الصخب والعنف، عمل وليم فوكنر العظيم، «حاصل على جائزة نوبل العام 1949 » تعتبر ذروة السرد الأمريكي، وتصنّف بأنها إحدى روائع القرن العشرين. قرأتها قبل أكثر من عقدين بترجمة جبرا إبراهيم جبرا، (قرأت له مؤخرا: موسيقى سوداء، وقصص أخرى، ترجمة سامر أبوهواش صادر عن مؤسسة كلمة) إلا أن ما أودّ الحديث عنه، ليس الرواية ولا الكاتب، بل سعر العمل، الذي اقتنيته مؤخرا من القاهرة، بترجمة محمد يونس، والذي طبع ضمن سلسلة المائة كتاب، سعر الكتاب سبعة جنيهات، أقلّ من أربعة ريالات سعودي.

مصر، وكما يعلم الجميع تمرّ بظروف اقتصادية صعبة، نتيجة أحداث الكلّ يعرفها، ومع هذا لا تزال تؤمن بضرورة دعم الكتاب، دعم في معظم حالاته لا ينتظر عائدا ربحيا. مصر، تؤمن بالثقافة، بهذه القوة الناعمة التي دون شكّ قادرة على فعل الكثير. ما الذي يمنع وزارة الثقافة والإعلام السعودية أن تحذو حذو ذلك؟ ما الذي ينقصها؟ هناك دول أقلّ دخلا منا، ومع هذا لم تتخلّ عن مسؤوليتها الثقافية تجاه الكاتب والكتاب. وكأنّ قدر المهتمّين بالشأن الأدبي في بلادنا أن ينتظروا حتى

حلول شهر مارس من كلّ عام، موعد معرض الرياض الدولي
للكتاب، ليتوجّهوا للناشرين العرب من أجل قصف جيوبهم،
وشراء الكتب بأسعار مضاعفة.

في الثالث من فبراير يحتفل العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه بالذكرى السنوية، لرحيل كوكب الشرق أم كلثوم، وفي هذا العام 2015م، حلت الذكرى الأربعون لرحيلها، (31 ديسمبر 1898 - 3 فبراير 1975م).

في المرحلة الابتدائية كنت لا أطيق مشاهدتها على التلفزيون، كان التلفزيون السعودي قبل ظهور جهيمان العام 1980م، يعرض على شاشته الكثير من الأغاني لفنانات عربيات ومن بينهن سيدة الغناء العربي.

قلت لأحد المعلمين في المرحلة الابتدائية الذي كان يعشق صوته: كيف تستمع لهذه الأغاني الطويلة لأم كلثوم؟ فردّ عليّ قائلاً: عندما تصل المرحلة المتوسطة ستفتن بها، وذلك ما حدث فعلاً.

أول شريط كاسيت وقع في يدي كانت به أغنية «حسيبك للزمن» وتوالى العشق الكلثومي، فات الميعاد، غلبت اصالح في روحي، يا اللي كان يشجيك أنيني، حديث الروح، وسواها من الأغاني التي كانت غير مألوفة عند كثير من الشباب في

تلك الفترة، لاسيما ما تسمى بالطقاطيق، وأغنيات الأفلام مثل أغاني فلم «رابعة العدوية» التي كتب كلماتها طاهر أبو فاشا، حيث حضرت بصوتها في ذلك الفيلم «من بطولة فريد شوقي، وحسين رياض، ونبيلة عبيد» بعد أن صورت سينمائيا ستة أفلام تقريبا، وتفرغت فيما بعد لمشروعها الغنائي فقط.

من الأحداث الطريفة أن أغنية «أنساك» كان من المفترض أن يلحنها الموسيقار محمد فوزي الذي ظل يحلم بالتعاون معها، إذ كان برفقته شاب صغير في العشرينات من عمره يتتلمذ على يديه، وذات يوم أخذ يدندن لحنا للأغنية فذهل محمد فوزي من هذه العبقرية القادمة، فاتصل فورا على السيدة، وقال لها: هناك صوت جديد سيقوم بتلحين العمل، ولست أنا.

كان هذا الشاب هو بليغ حمدي الذي كان وراء الكثير من روائعها الخالدة بعد ذلك. مثل «بعيد عنك» و«سيرة الحب» و«كل ليلة وكل يوم» و«حب إيه» و«حكم علينا الهوى» و«أنا وانت ظلمنا الحب» وبالتأكيد لا يمكن لأحد أن ينسى عبقرية القصبجي، ورياض السنباطي، وزكريا أحمد. حتى المترجم عن الفرنسية، والشاعر الفصيح أحمد رامي تحوّل معها إلى كاتب أغانٍ بالعامية.

هذه السيدة الاستثنائية التي يقال أن العرب لم يتفوقوا على شيء كاتفاقهم على عبقرية صوتها، ذلك الصوت الذي ربّى الوجد، وصاغ الوجدان العربي من المحيط للخليج.

الحديث يطول عن صاحبة العصمة «فاطمة إبراهيم السيد
البلتاجي» تلك التي كانت حرقه الآه تمدّها فتنكأ جراح المحبين.
ولا أحسب أن هذا الصوت الخالد سوف يكفّ عن مواسة
ومنادمة العاشقين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

النقاد والكاتب د. سعيد السريحي أصدر أول أعماله النقدية «الكتابة خارج الأقواس» من نادي جازان الأدبي، الطبعة الأولى 1986م، الغلاف من تصميم الفنانة شادية عالم. وحين قام بطباعة باكورة إنتاجه عن هذا الأخير، كان يدرك أن هذه المؤسسة يومذاك هي الأجدر بأن يصدر فاتحة مشروعه النقدي عنها، المنجز الذي أثار جدلاً غير مسبوق في تلك المرحلة. ولم يكن صاحب «تقليب الحطب على النار» هو الوحيد من تنبّه إلى أن هذا المكان هو الأمثل للنشر يومئذ، بل تقاطرت كوكبة من مبدعي المشهد الثقافي المحلي أواسط الثمانينات وما تلاها للطباعة في ذات النادي؛

فقام الروائي عبده خال بطباعة أول إصداراته «حوار على بوابة الأرض» وكذلك فعل القاص عبدالله باخشوين في مجموعته الأولى «الحفلة» وتبعهم القاص الراحل عبد العزيز المشري بإصدار واحد من أهم أعماله السردية «الزهور تبحث عن آنية» ونشر محمد عبيد الحربي ديوانه الشعري «الجوزاء»، وهو قصائد نشر (مع ما واكب هذا الكتاب من لغط وإشكاليات)

أرجو أن تستعيد هذه المؤسسة دورها التنويري، وتنظر للمستقبل

بعين المحبة والأمل لما فيه صالح المنطقة، والبلد بوجه عام،
وكلّي ثقة أن مثقفي جازان بجميع شرائحهم وأطيافهم قادرون
على ذلك.

في الرابع والعشرين من ديسمبر، تحلّ الذكرى السنوية لغياب
الشاعر العراقي بدر شاكر السياب

(25 ديسمبر 1926 – 24 ديسمبر 1964) وتجربة صاحب «شناشيل
ابنة الجليبي» غنية عن التعريف، ولا يمكن لي أن أضيف جديدا
في ذلك.

بيد أن ما أودّ الحديث عنه، هو، قصيدته «أنشودة المطر» التي
تحمل عنوان أحد دواوينه، الديوان الذي فاز في مسابقة مجلة
شعر لأفضل عمل العام 1960م، تلك المجلة التي أحدثت تحوّلاً
هائلاً عقب ذلك في المدونة الشعرية العربية، ما جعله أحد كتاب
المجلة التي كان يرأسها يوسف الخال، الأمر الذي أوقعه في
خلاف مع مجلة «الآداب» التي كانت قد تبنته في وقت سابق.

العدد الأول من «شعر» كان في شتاء 1957م؛ ضمّ قصائد لسعدي
يوسف، وفؤاد رفقة، ونازك الملائكة، ويوسف الخال، ونذير
العظمة، وفدوى طوقان، والبير أديب، وبشر فارس، وآخرين.
اللافت في إصدار المجلة الأول أن أدونيس له مسرحية شعرية
بعنوان «مجنون بين الموتى» وقصيدة عمودية لبديوي الجبل.

العدد كان خاليا من اسم أدونيس في هيئة التحرير. فقط، يوسف الخال، رئيسا لتحريرها، والمدير المسؤول كمال غريب. يبدأ اسم أدونيس في الظهور من العدد الرابع للمجلة كسكرتير للتحرير. بالعودة إلى قصيدة «أنشودة المطر» - كتبها السياب عام 1954م - التي هي من بحر الرجز، ذلك البحر الذي سمّاه النقاد الأوائل «حمار الشعر والشعراء» غير أن شاعرا موهوبا في قامة صاحب المعبد الغريق، استطاع أن يستثمر إمكانات هذا البحر الشعرية، ويفجّر طاقاته، ويكتب على وزنه قصيدة، أصبحت من عيون الشعر العربي.

أتعلمين أيَّ حُزْنٍ يبعث المطر؟

وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر؟

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضّياح؟

بلا انتهاء - كالدمّ المراق، كالجياح،

كالحبّ، كالأطفال، كالموتى - هو المطر!

ومقلّتاك بي تطيفان مع المطر

وعبر أمواج الخليج تمسح البروق

سواحل العراق بالنجوم والمحار،

كأنها تهَمّ بالشروق

فيسحب الليل عليها من دمٍ دثار.
أصبح بالخليج: «يا خليجُ
يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والرّدى! »
فيرجعُ الصّدى
كأنّه النّشيجُ:
«يا خليج
يا واهب المحار والرّدى..

ومثله فعل شاعر آخر، على ذات الوزن والإيقاع،
هو صلاح عبد الصبور في قصيدته الشهيرة «الناس في بلادي»
الناس في بلادي جارحون كالصقور
غناؤهم كرجفة الشتاء، في ذؤابة الشجر
وضحكهم يئز كاللهيب في الحطب
خطاهمو تريد أن تسوخ في التراب
ويقتلون، يسرقون، يشربون، يجشأون
لكنهم بشر
وطيبون حين يملكون قبضتي نقود
ومؤمنون بالقدر.

ذلك إبداع لا يتأتى إلا للنوابغ من الشعراء، الشعراء الذين لا يكثرثون لمقولة نقدية جاهزة، ولا ينصتون إلا لنداء القصيدة.

يقول شربل داغر، في كتابه «العابر الهائل بنعال من ريح. رسائل آرثر رامبو»، الطبعة الثالثة، الصادر عن أزمنة 2014، وهو يعقد مقارنة بين دفن رامبو، ودفن السياب، وبين شارل فيل مسقط صاحب «فصل في الجحيم» وجيكور: خمسة حضروا دفن السياب: إقبال، زوجته، فؤاد عبد الجليل، أخو زوجته، علي السبتي، الشاعر الكويتي، صاحب مجلة «اليقظة» الذي نقل جثمان الراحل بسيارته «الشوفر» البيضاء من «المستشفى الأميري» بالكويت إلى البصرة، غيلان، ابنه، و.... المطر.

ثلاثة حضروا دفن رامبو: كاترين، أمه، إيزابيل، أخته الصغرى التي عاشت أيام نزاعه الأخير بمرسيليا، و.... المطر.

6

تمّ إطلاق اسم اللاعب ميسي على إحدى محطات المترو في لندن، فيما الفنان طلال مداح مات وهو على المسرح، ولم تكتب حتى بقالة باسمه.

عندما يشعر الكاتب، أيّ كاتب، أن النص قال ما لديه، عليه أن يرفع قلمه إلى جيبه، أو يرميه جانبا، بسبب الإيقاع السريع للعصر، وبسبب المتلقّي، المتلقّي الذي لم يعد لديه صبر ووقت كاف لقراءة الملاحم والمعلقات.

وربما أحسن تويتر صنعا، أن جعل التغريدات 140 حرفا. وأقول مطمئناً: أن تويتر بذلك أعاد للغة العربية بلاغة الإيجاز.

جوبهت القصيدة النسائية في العالم العربي بصعوبات جمّة وبعوائق تاريخية وسياسية واجتماعية منذ العصور الأولى لما قبل الإسلام، مع تحفظي الكامل على مسمى «العصر الجاهلي» لذا حينما نحاول رصد الأسماء النسائية في تراثنا العربي نجدها شحيحة ولا تظهر إلا بضعة أسماء على استحياء بالقياس للحضور الذكوري في مدونة الشعر العربي، وأسباب ذلك لا تخفى على الذهنية العربية والتي كانت وربما لا تزال في بعض الجهات تنظر للمرأة بوصفها عورة، فكيف بتلك التي تكتب شعرا وتتغنّى فيه بآمالها وآلامها. من الأسماء التي ظهرت خلال الخمسين سنة الأخير مثالا لا حصرا سنية صالح صاحبة «ذكر الورد» وزوجة البدوي الأحمر محمد الماغوط، وأخت الناقدة خالدة سعيد زوجة أدونيس، هذه الشاعرة التي رحلت دون أن يعرف عنها الكثير من مثقفينا، ولك أن تتصور هذه المبدعة ومن أسرة ذات باع طويل في المشهد الثقافي العربي، تم تغيبها لسبب أو لآخر، فكيف بسواها ممن لا حول لهن ولا قوة. ونموذج آخر في السعودية، هي الشاعرة فوزية أبوخالد صاحبة «إلى متى يختطفونك في ليلة العرس»، تعتبر رائدة في

كتابة قصيدة النثر في المملكة والخليج، لم تنل ما تستحقه في الوسط الإعلامي والنقدي، واسمها ليس حاضرا كما يجب في العالم العربي، بينما لو كتبت امرأة عملا روائيا، حتى وإن لم تستوف شروطه الفنية، ستجد المانشيتات الصحفية في اليوم الثاني تخلع عليها أحسن الألقاب. هذا حال القصيدة مع المرأة في الماضي والحاضر، وهي بالتالي أقل بهاء وحضورا على مستوى الشعر العالمي قياسا بشاعرات نلن جائزة نوبل أمثال التشيلية غبريالا ميسترال، أو البولندية فيسوافا شيمبورسكا، وغيرهن، لسن أقل قامة، كالأمريكية آن سكستون، وسيلفيا بلاث، والروسية آنا أخماتوفا.

النقد في المشهد الثقافي السعودي، ظلم كثيرا الجيل الذي جاء عقب جيل الثمانينات، (جيل التسعينات وما تلاه) مع استثناءات بسيطة، بسبب أن الدرس النقدي لم يواكب منجزنا الشعري. ظل مرابطاً كما يرباط جندي بائس على الجبهة، فيما جيشه قد ترك مواقعه وانسحب.

نعم، ما انفك خطابنا النقدي يلوك أسماء أكل الدهر عليها وشرب وربما نام أيضاً، وراح أغلب النقاد يتمترس متواريا خلف سديم النظرية، فيما جيل جديد شرع يكتب نصوصه بلغة طازجة، لغة مفتوحة على كل التجارب العالمية من سينما ومسرح، وعلى كل الأجناس الأدبية سواء شعر أو قصة أو رواية. لم يرتعن جيل التسعينات والألفية الثالثة، للسائد والمألوف، بل جاء متجاوزا للنقد المملب والتنظيرات المثلجة.

هذه التجارب الشعرية الجديدة لم تجد مكانها اللائق في ظل سطوة التقليديين، فيما هم يُحسبون على حركة التجريب، وما برحت النظريات والمقولات الجاهزة لا تزال تشدهم للخلف، ما جعل أكثر المبدعين يشدّون حقائبهم ويذهبون صوب عالم افتراضي، عالم ليس فيه دور للمحسوبة والعلاقات العامة

والتسويق غير الأخلاقي للنصوص، فضاء النت، والميديا،
وشبكات التواصل، وبدا واضحاً هذا التنوع الثقافي والفكري،
تنوّع يشير بإصبعه لتعدد غير قابل للجدل والمواربة،
ذهبوا بعيداً حيث السياق مختلف والحراك له نكهة أخرى
والمشهد أكثر نبلاً، ذهبوا هناك، قريباً من الحافة.

أدب الإخوانيات من الأنواع الملتبسة في أدبنا العربي، والعصية في الآن على التعريف. يمزج هذا الفن الأجناس الأدبية من شعر ونثر، فتجد القصيدة، والرسالة، والجد، والهزل.

تجلّى هذا الجنس الأدبي في العصور المظلمة كما سميت في تاريخ الأدب، كأنما هو حالة مزاجية خاصة، يتحكّم فيها الأثر النفسي لكاتبها، الذي يدوّنها ساعتئذ، ربما دون رغبة في نشرها، حيث تبقى حبيسة الأدراج.

قد تظهر في مرحلة زمنية لاحقة تكون قيمتها الأدبية عالية؛ نسبة لسياقها وظرفها الاجتماعي الذي كتبت فيه.

ولعل أشهر الاخوانيات، ما تمّ من مراسلات كانت قمة في البوح والتجلّي بين مَيّ زيادة، وجبران خليل جبران، إذ كان يقيم في أمريكا وهي في مصر. ولك أن تتخيّل كيف أن تلك الرسائل المفعمة بالرومانسية بين جبران ومَيّ، وهما لم يريا بعضهما.

نعم، كما قلت قد يتجلّى في هذه الكتابة اللغة الانفعالية التي تنأى كثيرا عن الهدوء، والروية، والأناة.

إذن، هو فنّ أدبي قد يضعف في حقبة ما، وقد يقوى في غيرها، لكنّه بعيد عن الانقراض مهما تراءى لنا.

الرقصة الأخيرة للمطر..

1

تويتر والفيس بوك يقدمان الكتابة ساخنة وطازجة، بعيدا عن تلك الأعمال المحفوظة والمبردة في ثلاجة المستندات والأوراق الصفراء.

2

حياة بلا فن، هي حياة خارج الإنسانية. الفن ضرورة وليس ترفا.

3

لا أحد فوق النظام، مقولة تتردد على ألسنة الذين يضعون النظام تحت شراك نعالهم.

4

غالباً، الهوامش والأطراف، هي من تصنع وتغذي ثقافة المركز.

5

ليس سوى الشك العاقل يطهر اليقينيات الملتبسة.

6

في أزمنة الاستبداد يتمحور الفرد حول ذاته، ومصالحه الشخصية، دون النظر للآخرين، والتفكير في شؤونهم وقضاياهم.

7

قرأت أن شاعرا (في زمن مضى) شاهد كفّ حبيبته فكتب قصيدة.. في عالم «الويب كام» ماذا يتبقى للكتابة؟

8

رغم كل ما يقال في الغرب عن المساواة بين الرجل والمرأة،
إلا أنه لم تشغل سيدة منصب البابا في تاريخ الكنيسة
حتى الآن.

9

مثلما أن الذباب لا يعيش إلا على القاذورات، هناك نوعية
من المثقفين لا تعيش إلا على تصيّد أخطاء الآخرين، واقتفاء
عيوبهم.

10

بعض المشاهير الذين يزورون جيزان، يصورونها بنظرة
استشراقية فلكلورية، وكأنّ سكّانها من شعوب جنوب الصحراء،
وليسوا من نسيج هذا الوطن!

11

معجزة البوعزيزي؛ عربة كانت تحمل الخضروات، ثم أضحت
لتحمل شعوب الأمة العربية إلى ميادين الحرية والكرامة.
هيهات، لن يسرقوا نارك المقدسة والمباركة مهما فعلوا من
ضلالات.

12

نمارس تزييفا للوعي عندما نقول: أننا بدو، وأبناء الصحراء
فقط، في الوقت الذي تشكل فيه ثقافتنا من أطراف عديدة،
بدءاً بالبحر، ومرورا بالساحل، وليس انتهاء بالجبل.

13

بعد ان فتّش حقيرة زوجته، وتفقد سجل المكالمات والرسائل
في جوالها، كتب مقالا بليغاً عن المرأة والحرية.

14

الكاتب السعودي في تويتر والفيس بوك، صاحب طرح تنويري،
وينحاز لقضايا الناس. وفي زاويته الصحفية، مؤدّب، كتلميذ
مصري في المدارس السعودية.

15

الفانتازيا التي يعيشها الإنسان العربي في واقعه المعاش، أكثر
دهشة وغرائبية من الواقعية السحرية التي نقرأها في روايات
أدب أمريكا اللاتينية.

16

كتابة المقالات اليومية محرقة، وهدر للطاقة، وتعمل على تفريغ
الكثير من الشحنات العاطفية، لاسيما للكتاب المبدعين، شعرا
وسردا.

17

كثير من حرّاس النوايا، إذا خرج الفن والإبداع عن تصوراتهم
الخاصة عدّوه فسادًا، وربما كفرا.

18

لا يصطادون في الماء العكر، بل يعكّرون الماء ليصطادوا
فيه.

19

لا أعرف محبًّا للفن والموسيقى قام بتفجير نفسه أو قتل الآخرين.

20

صفحة من كتاب، خير من مئة «لايك» على الفيس بوك..

21

أكثر كُتّاب اليسار في العالم العربي تحولوا بين عشية وضحاها إلى أصحاب زوايا في الصحف والمجلات الخليجية.. ما الذي حدث؟

22

بدأت تتآكل الطبقة الوسطى، تلك الفئة الذهبية من الناس، وبالتالي سيؤول الحال إلى أسياد وعبيد.

23

«في هذه المرحلة الدقيقة التي تعيشها الأمة»... من عشرات السنين ونحن نسمع هذه الجملة الجوفاء من سياسيين ومفكرين ومنظرين وحتى من الغوغاء.

24

الفيس بوك، ليس شبيها بتويتر، في هذا الأخير، تابع ومتبوع،
والناس ليسوا سواسية، حالة يمكن توصيفها بعبودية إلكترونية،
عبودية، لا تليق بإنسان الألفية الثالثة.

25

هيمنة خطاب واحد على وعي الناس، يصيب الأمة في مقتل،
وينتج مواطنًا خائفًا ومشتتًا.

26

الصمت على الفساد، فساد آخر.

27

لا قضية، تنقذ الشعر والشعراء، سوى حبهم، وهزائمهم
الفادحة.

28

يقال أن مصر قادت العالم العربي في الستينات بالكتاب
والجريدة والإذاعة والفلم والأغنية؛ تلك هي القوة الناعمة.
هل نحن مؤهلون لهذه الريادة؟!

29

بلد دون مسرح، ومتاحف، وسينما. كيف يتنسم أهله عبير الفن؟

30

سقطت مقولة، الصمت حكمة، في مواقع التواصل الاجتماعي.

31

ما أرخص توقيع المعلم، قد يصل في اليوم إلى مئة توقيع، بين واجبات وحضور وانصراف وتعاميم وغيرها. في وقت قد تنتظر شهورا، للظفر بتوقيع موظف حكومي.

32

خيانة الأوطان، ليست مجرد رأي، أو وجهة نظر قابلة للنقاش.

بيان بمطبوعات النادي الأدبي في جازان

منذ تأسيسه عام 1395هـ

1. التقرير السنوي للنادي ، النادي ، 1396هـ
2. قصص من الجنوب ، مجموعة من الشباب ، 1397هـ
3. مسابقة الشعر ، مجموعة من الشباب ، 1397هـ
4. الينابيع (شعر) ، محمد بن علي السنوسي ، 1398هـ
5. الأدب الشعبي ، محمد أحمد العقيلي ، 1398هـ
6. أبو سفيان بن حرب ، يحيى محمد الحارثي ، 1399هـ
7. الأرض والحب (شعر) ، أحمد يحيى البهكلي ، 1399هـ
8. مع الشعراء ، محمد بن علي السنوسي ، 1399هـ
9. المعجم الجغرافي ، محمد أحمد العقيلي ، 1399هـ
10. محاضرات النادي ، مجموعة من الأساتذة ، 1400/1401هـ
11. مع الشباب في تنمية القدرات ، د. زاهر عواض الألعي ، 1401هـ
12. الآثار التاريخية ، محمد أحمد العقيلي ، 1401هـ
13. طيفان على نقطة الصفر (شعر) ، أحمد يحيى البهكلي ، 1401هـ
14. نفحات من الجنوب (شعر) ، محمد بن علي السنوسي ، 1401هـ
15. ليلة في الظلام (قصة) ، محمد زارع عقيل ، 1401هـ
16. الصندوق المدفون (قصة) ، طاهر عوض سلام ، 1401هـ
17. أمسية فلسطين (شعر) ، إعداد النادي ، 1401هـ
18. وجوه من الريف (قصة) ، حجاب بن يحيى الحازمي ، 1401هـ
19. الملك أبو الفداء ، ياسر فتوى ، 1401هـ
20. بين جيلين (قصة) ، محمد زارع عقيل ، 1401هـ
21. مطولة علي أحمد باكثير ، د. حلمي محمد القاعود ، 1401هـ

22. الأدب وموقفه من الحدث (محاضرة)، علوي طه الصافي، 1402هـ.
23. الحلقة المفقودة بين الموشح والحميني، عبد الرحمن محمد الرفاعي، 1402هـ.
24. حبيتي والبحر (شعر)، إبراهيم عمر صعايبي، 1402هـ.
25. الأعمال الشعرية الكاملة، محمد بن علي السنوسي، 1403هـ.
26. من ثمرات الكتب، عبد السلام هاشم حافظ، 1404هـ.
27. السنة ومعرفة علوم الحديث، عبد الحميد إبراهيم سرحان، 1404هـ.
28. العكوتان والجيولوجيا، راشد قاسم الشيخ، 1404هـ.
29. دور الإعلام في بناء الإنسان، محمد كامل الخجا، 1404هـ.
30. نظرات في العلم والأدب، مجموعة أعضاء النادي، 1405هـ.
31. عن الحب ومنى الحلم (شعر)، علي أحمد النعمي، 1405هـ.
32. الوحي والقرآن، عبد الحميد إبراهيم سرحان، 1405هـ.
33. أبجديات في النقد والأدب، حجاب يحيى الحازمي، 1405هـ.
34. في حكم الجهر بالبسملة والإسرار، الحسن بن خالد الحازمي، 1405هـ.
35. الرحيل إلى الأعماق (شعر)، علي أحمد النعمي، 1406هـ.
36. إطلالة على الشعر السعودي، فوزي خضر، 1406هـ.
37. الحفلة (قصة)، عبد الله باخشوين، 1406هـ.
38. دموع الندم (رواية)، أحمد علي حمود حبيبي، 1406هـ.
39. ترانيم على الشاطئ (شعر)، علي محمد صيقل، 1406هـ.
40. تقرير الجمعية الخيرية، تقرير، 1406هـ.
41. أحلامي (فن تشكيلي)، خليل حسن خليل، 1406هـ.
42. الحياة في ظل العقيدة الإسلامية، زيد محمد المدخلي، 1407هـ.
43. الكتابة خارج الأقواس، سعيد السريحي، 1407هـ.
44. حوار على بوابة الأرض (قصة)، عبده خال، 1407هـ.
45. حمدونة (قصة)، عبدالله الشباط، 1408هـ.
46. الزهور تبحث عن آنية (قصة)، عبدالعزيز مشري، 1408هـ.
47. نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير، حجاب بن يحيى الحازمي، 1408هـ.

48. الأجوبة على المسائل التي الاختلاف فيها مباح، تأليف : عبدالرحمن أحمد البهكلي تحقيق: الشيخ علي أبو زيد الحازمي، 1409هـ
49. الأواني الخشبية التقليدية عند العرب، د. سليمان محمود حسن، 1409هـ
50. الأفنان الندية ج 1، زيد محمد المدخلي، 1409هـ
51. جراح قلب (شعر)، علي أحمد النعمي، 1409هـ
52. رواد علم الجغرافيا، د. علي عبدالله الدفاع، 1409هـ
53. طائر الليل (قصة)، عمرو العامري، 1409هـ
54. أغنية للوطن (شعر)، علي محمد صيقل، الطبعة الثانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، 1409هـ
55. فرسان الناس والبحر والتاريخ، إبراهيم عبدالله مفتاح، 1410هـ
56. السنة البحر (قصة)، أحمد إبراهيم يوسف، 1410هـ
57. أمير الحب (رواية)، محمد زارع عقيل، 1410هـ
58. أشرة الصمت (شعر)، حسين محمد سهيل، 1410هـ
59. عرس القرية (قصة)، محمد منصور مدخلي، 1410هـ
60. من أحاديث السنوسي، عبدالعزيز علي الهويدي، 1410هـ
61. دراسات في شعر محمد علي السنوسي، مجموعة مؤلفين، 1410هـ
62. فن الرواية في الأدب السعودي، د. محمد صالح الشنطي، 1411هـ
63. التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج 1، محمد أحمد العقيلي، 1411هـ
64. قراءات نقدية تحليلية للقصة، د. محمد بن يوسف، 1412هـ
65. عقبات في طريق الدعوة، د. إبراهيم عباس، 1412هـ
66. ما اتفق لفظه واختلف معناه، تأليف : ابن العميثل تحقيق : د. محمود شاكر سعيد، 1412هـ
67. أوصاف الشعر عند العرب، د. عبدالله باقازي، 1412هـ
68. من شعر علي بن محمد السنوسي، د. عبدالله أبو داهش، 1412هـ
69. سليمان عليه السلام بين حقائق التلفزة وعلم التقنية، عبد الرحمن محمد الرفاعي، 1412هـ
70. مقامات فرسانية، إبراهيم عبد الله مفتاح، 1412هـ

71. لعيني لؤلؤة الخليج " شعر " ، علي أحمد النعمي ، 1412هـ
72. التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج 2 ، محمد أحمد العقيلي ، 1413هـ
73. التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج 3 ، محمد أحمد العقيلي ، 1414هـ
74. رواد العلوم الرياضية ، د. علي عبدالله الدفاع ، 1414هـ
75. عشرون عاماً من مسيرة نادي جازان الأدبي ، دليل النادي ، 1414هـ
76. مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، تأليف : رولان بارت ... ترجمة : د. منذر عياشي ، 1414هـ
77. الآخرون مازالوا يمرون (قصة) ، زكية راشد نجم ، 1415هـ
78. بوصلة واحدة لا تكفي (شعر) ، علي محمد الأمير ، 1415هـ
79. يأساهر البرق ، تحقيق ودراسة : أبي عبد الرحمن بن عقيل ، 1416هـ
80. تداعيات الرجل الرمادي (قصة) ، جبريل أبودية ، 1416هـ
81. وردة في فم الحزن (شعر) ، حسن حجاب الحازمي ، 1416هـ
82. رحلة الأمس (شعر) ، أحمد إبراهيم الحربي ، 1416هـ
83. رائحة التراب (شعر) ، إبراهيم عبدالله مفتاح ، 1416هـ
84. مناقرات صحفية ، علي العمير ، 1417هـ
85. محمد أحمد العقيلي (العالم الموسوعي) ، د. محمد الصادق عفيفي ، 1417هـ
86. النقد الأدبي في آثار الشريف المرتضى ، د. أحمد عبد الواحد ، 1417هـ
87. قبل أن ينضب الأمل (شعر) ، جلوي يحيى حكيم ، 1417هـ
88. وكالة الأنباء ، عبدالرحمن محمد الرفاعي ، 1418هـ
89. التفكير الإبداعي بين النظرية والتطبيق ، د. عبدالله الصافي ، 1418هـ
90. الزكاة وأحكامها في الرسائل السماوية ، يحيى زاهر الحارثي ، 1418هـ
91. مساء الحب أيتها الشمس (قصة) ، إبراهيم عمر صعابي ، 1418هـ
92. جمجمة في ضوء الشمس ، محمد عبد الواحد ، 1419هـ
93. حوليات سوق حباشة ، د. عبد الله أبو داهش ، 1419هـ
94. الأنسة أولين (قصة) ، فهد أحمد المصباح ، 1419هـ
95. الملف الدوري " مرافئ " ، العدد الأول ، 1419هـ
96. الرواية الإسلامية المعاصرة ، د. حلمي محمد القاعود ، 1419هـ

97. لا تسلني عن جراحي "شعر"، مهدي أحمد حكيم، 1419هـ
98. أول الرؤيا "شعر"، إبراهيم زولي، 1419هـ
99. وللأقمار باب "شعر"، حسين محمد سهيل، 1419هـ
100. العيون في ديوان العرب، ناصر زمل، 1420هـ
101. الخصومة بين النحاة والشعراء، د. محمد غالب وراق، 1420هـ
102. شعر تميم بن أبي بن مقبل (مجلدان)، د. عبد الله الفيقي، 1420هـ
103. في الأدب السعودي بحوث ومقالات، د. حمد بن ناصر الدخيل، 1420هـ
104. الأعمال الشعرية الكاملة، محمد بن علي السنوسي، 1420هـ
105. شعر قبيلة مذحج (3 مجلدات)، محمد عبد الله منور، 1420هـ
106. عبد الكريم والسلطان (قصة)، إبراهيم مغفوري، 1420هـ
107. ستذكرون ما أقول لكم (شعر)، د. صالح بن سعيد الزهراني، 1420هـ
108. قصص الأطفال (ثلاث مجموعات)، مسابقة النادي، 1420هـ
109. مقالات رصينة وتحقيقات أمينة، محمد أحمد العقيلي، 1420هـ
110. الملف الدوري (مرافئ)، العدد الثاني، 1420هـ
111. الحميني الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي (ط2)، عبدالرحمن محمد الرفاعي، 1421هـ
112. البطل في الرواية السعودية، حسن حجاب الحازمي، 1421هـ
113. دم البراءة (رواية)، إبراهيم الناصر الحميدان، 1421هـ
114. من مشاهير الحكميين، حسين بن صديق حكيم، 1421هـ
115. الملف الدوري (مرافئ)، العدد الثالث، 1421هـ
116. منحة الصمد في الميسور عن حديث صمد، تأليف: القاضي الحسن بن أحمد عاكش تحقيق: محمد محسن ديباجي، 1421هـ
117. لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال العهد السعودي، حجاب بن يحيى الحازمي، 1421هـ
118. رهبة الظل (شعر)، محمد إبراهيم يعقوب، 1422هـ
119. حمى الأحلام (شعر)، أيمن عبد الحق، 1422هـ
120. اقرأ باسم ربك، للشيخ / محمد بن ناصر الحربي، 1422هـ

121. مفهوم الصدق في النقد العربي القديم، د. حمود الصميلي، 1422هـ.
122. باقة من فل جازان (شعر)، حسين أحمد النجمي، 1422هـ.
123. القشور (قصة)، عمر طاهر زيلع، 1422هـ.
124. عزف على أوتار مهترئة (شعر)، حسن أحمد الصلهبي، 1422هـ.
125. من شظايا الماء (شعر)، إبراهيم عمر صعاي، 1422هـ.
126. وطني . و الفجر الباسم (شعر)، عيسى بن علي جرابا، 1422هـ.
127. الوطن ولاء وانتفاء (شعر)، أحمد سالم باعطب، 1422هـ.
128. حسن النية (قصة)، إبراهيم محمد شيخ مغفوري، 1422هـ.
129. الحملة (قصة)، محمد منصور الشقحاء، 1423هـ.
130. أوراق الربيع، د. يوسف العارف، 1423هـ.
131. قسّمات وملامح (شعر)، علي بن أحمد النعمي، 1423هـ.
132. المجموعة الكاملة للسنوسي ط2 (شعر)، محمد بن علي السنوسي، 1423هـ.
133. نشرة أصوات، العدد الأول، 1423هـ.
134. أغصان تتلظى "شعر"، يحيى صديق حكيم، 1424هـ.
135. فرسان بين التاريخ والجيولوجيا، إبراهيم عبد الله مفتاح، 1424هـ.
136. رجع (شعر)، منصور دماس، 1424هـ.
137. نشرة أصوات، العدد الثاني، 1424هـ.
138. الملف الدوري مرافئ، العدد الخامس، 1424هـ.
139. دراسات في الأدب والترجمة، د. عبد الوهاب الحكمي، 1424هـ.
140. في دائرة الغبار، د. محمد العيد الخطراوي، 1424هـ.
141. مجموعة اللفحات في النقد الأدبي، علي العمير، 1424هـ.
142. أطفئ فانوس قلبي (شعر)، د. محمد حمود حبيبي، 1424هـ.
143. صلة النحو بعلوم الشريعة، د. عبد الله جاد الكريم، 1424هـ.
144. الخروج من بوابة الفل (شعر)، أحمد إبراهيم الحربي، 1424هـ.
145. بين شاعرين من تهامة، د. مجدي محمد خواجي، 1425هـ.
146. الملف الدوري (مرافئ)، العدد السادس، 1425هـ.
147. نشرة أصوات، العددان الثالث والرابع، 1425هـ.

148. الحسن بن أحمد عاكش، د. حسن بن أحمد النعمي، 1425هـ
149. شعر محمد بن أحمد العقيلي (دراسة تحليلية)، د. خالد ربيع الشافعي، 1425هـ
150. الشمس التي رحلت (رواية)، محمد يحيى عطيف، 1425هـ
151. البحر .. يغرق (خواطر)، أمينة بنت محمد آل عليّة (يرحمها الله)، 1425هـ
152. فجر النهضة (شعر)، أحمد صالح بابقي -تحقيق الأستاذ: عبد الرحمن الرفاعي، 1426هـ
153. دعوة للقمر (قصة)، عمر طاهر زيلع، 1426هـ
154. وجوه رجال هاربين (قصة)، البراق الحازمي، 1426هـ
155. حنين وشجن (شعر)، حسين جبران كريري، 1426هـ
156. ما زال ربيعاً (شعر)، محمد حسن أبو عقيل، 1426هـ
157. أوشك أن أعود، العباس محمد معافا، 1426هـ
158. ديوان (ألهمني البحر)، حمزة أحمد الشريف، 1426هـ
159. لأنها لا تموت "قصص"، أمل إسماعيل، 1426هـ
160. لهجة أزد السراة، جمعان الغامدي، 1426هـ
161. جزيرة العصافير "قصص أطفال"، أم المجد الفقيهي، 1426هـ
162. ديوان "تراثيل العزلة"، محمد إبراهيم يعقوب، 1426هـ
163. نشرة (أصوات) العدد الخامس، النادي، 1427هـ
164. للشمس شرقة "قصص"، أميمة بنت منور البدري، 1427هـ
165. نشأة الأدب السعودي المعاصر، د. عبد الله محمد أبو داهش، 1427هـ
166. الاتجاه الإسلامي في شعر عدنان علي النحوي، د/ليلى شبيلي، 1428هـ
167. حين أمسيت (شعر)، ملهي حسن عقدي، 1428هـ
168. روحان (شعر)، موسى محمد الأمير، 1428هـ
169. اتجاه آخر (مجموعة قصصية)، أحمد موسى حديب، 1428هـ
170. مرافئ الحب (شعر)، عبد الله بن أحمد الفيافي، 1428هـ
171. نبض الفؤاد (شعر)، د/عبد الله بن محمد الحميد، 1428هـ
172. صمت الأوردة (شعر)، علي يحيى بهكلي، 1428هـ
173. دورية النادي مرافئ، العدد (8)، 1429هـ

174. الجوهريات (شعر)، حسن بن علي أبو طالب، 1429هـ.
175. إجهاشه النبض (شعر)، حمد علا الله حكيم، 1430هـ.
176. شعر علي بن أحمد النعمي دراسة موضوعية فنية، أحمد بن عبد الله الصم، 1430هـ.
177. شعر محمد بن مجسن مشاري، د. خالد ربيع الشافعي، 1430هـ.
178. أخاديد السراب (شعر)، إبراهيم عمر صعايبي، 1430هـ.
179. أسطورة بلاد النور (قصصية)، حضية عبده خافي، 1430هـ.
180. الصوت الجريح (شعر)، محمد حسن بوكر، 1430هـ.
181. فتنة السر (شعر)، موسى العزي معافا، 1430هـ.
182. معزوفة القلب (قصة طويلة)، إبراهيم طاهر صميلي، 1430هـ.
183. زامر الحر (قصصية)، أحمد إسماعيل زين، 1430هـ.
184. التشكيل الرمزي للماء، د. أسماء أبوبكر، 1430هـ.
185. بين الزحام (شعر)، علي رديش دغريري، 1430هـ.
186. الشعر في منطقة جازان، د. حسن النعمي، 1430هـ.
187. دراسات الأدب السعودي المعاصر، د. أسامة البحيري، 1432هـ.
188. نأى الدروب (شعر)، يحيى بن جبران معيدي، 1432هـ.
189. هكذا غردوا (شعر)، مهدية رابح دحماني، الدار العربية للعلوم ناشرون 1432هـ.
190. أقمار خافتة، حمزة الكامل، الدار العربية للعلوم ناشرون 1432هـ.
191. فيفاء هبة الطفولة، عبد الله بن أحمد الفيفي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1433هـ.
192. الوعد منطفأً، عبد الصمد بن محمد الحكمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1433هـ.
193. لا شأن لي بي، عبد الله باخشوين، الدار العربية للعلوم ناشرون 1433هـ.
194. طائر النار، إبراهيم قهواجي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1433هـ.
195. حفلة أرق، عائشة النويمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1433هـ.
196. الإبداع الشعري في جزيرة فرسان، سميحة الجسيني، الدار العربية للعلوم

ناشرون 1433 هـ

197. ديوان عطر الحروف، إبراهيم أحمد النعمي، الدار العربية للعلوم ناشرون

1434 هـ

198. جوائزية رجل الملح، عبدالله عبيد، الدار العربية للعلوم ناشرون 1434 هـ

199. الشعر الشعبي الفرساني ومناسباته، إبراهيم مفتاح، الدار العربية للعلوم

ناشرون 1434 هـ

200. ضحى والعربة، إبراهيم شيخ، الدار العربية للعلوم ناشرون 1434 هـ

201. ظل من جسد، خالد شداد، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

202. الثبتي يتلو أسارير البلاد، علي الأمير، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

203. في أنواعية الشعر، رشيد يحيوي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

204. نهار تدرجته النساء، محمد الشيباني، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

205. زجاج، أحمد السيد، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

206. شجر هارب من الخرائط، إبراهيم زولي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

207. يقيس الأزقة بالذكريات، إبراهيم مبارك، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

208. الحارث بالثقب، صالح زمانان، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

209. عاشقة في زمن اللاعشق، شقراء بن ثقل، الدار العربية للعلوم ناشرون

1435 هـ

210. الغزالة تشرب صورتها، علي الحازمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

211. البرطاونات، محمد بن ربيع الغامدي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

212. القصة القصيرة في منطقة جازان، بتول مباركي، الدار العربية للعلوم

ناشرون 1435 هـ

213. عراف الرمل، محمد العباس، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

214. ذئاب، طلال الطويرقي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

215. ممرات للفق، هويدا صالح، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435 هـ

216. أغنية للوطن، علي محمد صيقل، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436 هـ

217. عقب المحابر، حسن مجرشي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436 هـ

218. 100 قصيدة لأمي، إياد الحكمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436 هـ

219. خيول تجري إلى الحافة، سالم يحيى عبيري، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
220. الحذاء المنتظر، عبدالله عقيل، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
221. تسير على ظهر غيمة، عبد الحميد البراق السليمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
222. أخرج في موعد مع فتاة تحب الكتابة، اختيار وترجمة محمد الضبع، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
223. خطيئة مجلة، عماد العمران، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
224. حبة خال في ساق فراشة، محمد اللوزي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
225. تجليات الغياب، علي حافظ كيري، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
226. موت لم تكتمل ملامحه، أسماء سليمان، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
227. تشبه رائحة أمي.. تشبه شجر الجنة، سهام العريشي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
228. مفتون كأحلام المساء، محمد البلبال بوغنينم، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
229. Zainab Al Khudairi، A Man From No Man's Land الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
230. المخلاف السليماني والعرش، د. فيصل علي الطمحي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
231. مسرحية الموت، حضية خافي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
232. بقايا عطر، شفيقة خافي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
233. حجاب العادة، سعيد السريحي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
234. متتالية التجديد، حسن مشهور، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
235. رائحة التراب، إبراهيم عبدالله مفتاح، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ

236. خاتنة الشبه، حسن الصلبي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ.
237. عصيان لا يتوب، نوره عبيري، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ.
238. تهمة الليبرالية، صالح الديواني، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ.
239. لم يقدني الفراش، طارق صميلي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ.
240. ثمن الحرية، محمد علي هادي مدخلي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ.
241. ذاكرة الشفق، حسين محمد سهيل، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ.
242. كيف سقط قوس قزح على قلبي، حسن أحمد الصلبي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ.

المؤلف في سطور

إبراهيم زولي

شاعر من السعودية

صدر له:

- (رويدا باتجاه الأرض) ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 1996 م. وط2 عن دار طوى للنشر والإعلام، لندن، مع منشورات الجمل
- 2009 م وط3 عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، آفاق عربية 2014 م
- (أول الرؤيا) نادي جازان الأدبي، 1999 م.
- (الأجساد تسقط في البنفسج) ط1، مركز الحضارة العربية بالقاهرة
- 2006 م. وط2، الانتشار العربي، بيروت، 2009 م
- (تأخذه من يديه النهارات) نادي المنطقة الشرقية الأدبي، 2008 م
- (رجال يجوبون أعضاءنا)، الانتشار العربي، بيروت 2009 م
- (قصائد ضالة - كائنات تمارس شعيرة الفوضى -)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010 م
- (من جهة معتمة) مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة، القاهرة 2014 م
- (شجر هارب في الخرائط - شذرات)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2014 م
- (حرس شخصي للوحشة)، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2015 م.

للتواصل www.izooli.com

تويتر @izooli

فيس بوك <https://www.facebook.com/i.zooli>

او على الإيميل i_zooli@hotmail.com

